عبد العزيز الصقعبي

# اليَومُ الأخيرُ لبَائِع الحَمَام




9.5.2013

رواية

ketab.me





# اليَومُ الأخيرُ لبَائِعِ الحَمَام

رواية

عبد العزيز الصقعبي







Twitter: @ketab_n

# اليَومُ الأخيرُ
# لبَائِع الحَمَام

Twitter: @ketab_n

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

1433 هـ - 2012 م

ردمك 978-2-84409-937-2

جميع الحقوق محفوظة



للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

تلفون: 00966505774560

الموقع الإلكتروني: www.darathar.net

Email: info@darathar.net

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

Twitter: @ketab_n

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ... ﴾

قرآن كريم

«ما رأيتُ أعجبَ من هاتفِ الحمامِ: سلم فناح، وصمت وهو مكسور الجناح؛ إنما الشَّوق لمن يذكرُ في كل حينٍ، ولا يذهلهُ مضيُّ السنين».

صبح الأعشى: القلقشندي



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**أنتَ الأولُ**

**أنتَ الأعمقُ**

**كلُّ العالمِ يقبعُ في الأخير!**

## (1)

«هل تسمح لي؟».

«سيتغير اسم الولد قليلاً».

كان مانع ينتظر ردًّا من والده، لاسيما وهو الذي كان يرفض أن يسمى أحد أحفاده باسمه إلا بعد موته، ولكن بعد إصرار الجميع وافق على مضض، ليكن اسم حفيده البكر «دخيل الله» على اسمه، وهاهو مانع يرغب في تغيير الاسم.

- هو ولدك.



Twitter: @ketab_n

- وأنت جده والرأي الأول والأخير لك.
- ماذا ستسميه؟
- سيكون اسمه «دخيّل» بدلاً من دخيل الله.

تداخلت أصوات بائعي الزل والسجاد ومحرجي البشوت والعباءات الرجالية، وفهم مانع أن صمت أبيه يعني الموافقة على قراره.

ساعد والده في ترتيب مجموعة من بشوت الوبر بينما كان صوت ابن ماجد يعلن دخول صلاة الظهر في جامع الرياض الكبير.

صمت دخيل الله الضبادي إيحاءً برضاه على ابنه مانع، وإحساسًا بأن ذلك الحفيد سيُضيف بعضَ الفرح لهم، فرح لشعوره باستمرار نسله، لتكبر شجرة العائلة وتورق.

دخيل الله الضبادي، ابن الجزيرة العربية، ابن الصحراء والصمت. قيل له أنه وُلِدَ في الوقت الذي كان الملك عبد العزيز متجهًا شرقًا ليتمكَّن بعد ذلك من دخول الأحساء بعد حملته على بعض القبائل في الصفوية وأبي دخن، لا يعرف مطلقًا أيَّ تشعُّب أو امتداد لعائلته، فأسرة الضبادي أشبه بالعشبة البرية التي نبتت في أحد أحياء الرياض القديمة، وفي زمن سابق شعر دخيل الله أنه شبه وحيد بعد موت والديه وأخيه رزق الله، وها هي السنوات تمضي، يتزوج ويصبح له ثلاثة أبناء وثلاث بنات، ذاكرته تحمل بعض تفاصيل هذا البلد، والقصائد الشعرية منحته بعض المعرفة، تزوج من فطيمة ابنة إمام المسجد الصغير في حي الظهيرة الذي كان يقطنه، بعد توحيد المملكة بأربع سنوات، بقي في حي الظهيرة حتى أوائل الثمانينات الهجرية، ثم انتقل إلى حي الصالحية بعد زواج ابنته الكبرى سبيكة من ابن أخيه عليان بن رزق الله، الذي شجعهم على الانتقال إلى ذلك الحي.


Twitter: @ketab_n

من لا يعرف دخيل الله ويلتقي به لأول مرة يقرر، بكل تأكيد، أن ذلك اللقاء سيكون الأول والأخير، فهو يتسم بحدَّة خاصة، يغضب سـريعًا، لا يتوانـى مطلقًـا عـن التفـوُّه بصراحـة عما يـراه من عيب، لا يعرف مطلقًا المجاملة، دائمًا يردد: «أنا اللي في قلبي على لسـاني»، هذا الأمر حدَّ من قدرته على اكتساب الثروة، وحدَّ أيضًا من علاقاته بالآخريـن، ربمـا عليـان ابـن أخيه هو الذي عرف كيف يعامله،فأصبح قريبًـا منـه، إضافـةً إلـى ابنـه مانع الذي ورث عن أمه الطيبة والمجاملة الشديدة، ولو على حساب نفسه فحقق بعض التوازن في تجارتهم.

هـذه القسـوة فـي التعامـل مـع الآخريـن أصبحـت سـمةً خاصةً لدخيـل اللـه الضبـادي، فعندمـا يأتي رجل ليشـتري أحد البشـوت أي نوع من أنواع العباءات الرجالية، من دكانهم الصغير، يقول له سعره المحدَّد، مثلاً: ألف ريال، وحين يطلب المشتري تخفيض القيمة يرد عليه بحدَّة: «تشتري بألف وإلا مع السلامة» وهذه المقولة أحيانًا بها شـيء من التهذيب، فربما تسـمعه يقول: «عطنا مقفاك» أو «مع اللي ما يحفظك»، لذا فقد بدأ كثير من الناس يتحاشـى مجادلته، أو إثارة غضبه، ولو غضب سيسـمع الجميع سـيل الشـتائم والدعوات الخاصة به، مثل: «عسـاك للسـاحق والماحق والبلا المتلاحق اللي يسـحقك ويمحقك ووين ما رحت يلحقك».



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**مثلثٌ بثلاثةِ أضلاع**

**مثلثٌ مختلُّ الزَّوايا**

**ثمة زوايا حادَّة وبعض الزوايا منفرجةٌ**

## (2)

مانـع وعليـان: الأول ابـن دخيـل اللـه الكبيـر، والآخـر ابن أخيه وزوج ابنته، أعمارهما متقاربة، وهمومهما مشـتركة. كان مانع يرتاح كثيرًا لابن عمه عليان، يحدثه عن بعض مشكلاته الخاصة، وما يعانيه من نزق والده وصعوبة تعامل الآخرين معه، ومع ذلك يرى أنها طبيعة من الصعوبة أن تتغير، أخبر مانع ابن عمه وزوج أخته عليان بموافقة والده على تغيير اسم ولده إلى «دخيل».

عليان يعرف مثل الجميع أن مانع هو يد دخيل الله اليمنى، سنده.



Twitter: @ketab_n

أسماه (مانع)، وكان كذلك هو الابن الأكبر الذي لم يترك والده مطلقًا، اكتفى بما حفظه من القرآن الكريم وقرر مساعدته في محل الزل. كان صوته قويًّا وهو يحرّج على أفخر السجاجيد الرومية، والبشوت، ومشالح الوبر. وكان الأب يسعد بما يكتبه من قصائد لشعراء عرفهم وشعراء بحث عنهم وتأكد من نسبة القصائد لهم. زوجه صغيرًا، وبعد زمن امتلأ بيته بما وهبه الله من أبناء وبنات من زوجته الأولى، ومن الثانية أيضًا.

أما عليان فهو الرجل الثاني في حياة دخيل الله هو ابن له وإن لم يكن من نسله، فمنذ زمن طويل قرر أن يكون عليان بن رزق الله زوجًا لابنته الكبرى سبيكة. كان يعجب بتلك الرجولة المشوبة بالحكمة، عرفه ابنًا وحيدًا لأخيه الذي غادر الحياة مبكرًا، نشأ أول عمره يتيمًا عند زوج أمه، وها هو الآن رجل وقور له عدد من الأبناء والبنات.

مانع أبو دخيّل، وعليان أبو راشد قريبان جدًّا من دخيل الله، ربما هذا القرب ليس لكون مانع هو الابن الأكبر وعليان ابن أخيه وزوج الابنة الكبرى فقط، ولكنَّ ثمة تشابهًا بينه وبينهما، وثمة توافق، وربما تكامل، فهؤلاء الثلاثة يمثلون رأس الهرم لعائلة كبيرة من أبناء وأحفاد وأبناء عم وأبناء خال، والبقية يكملون ذلك المثلث، وإن اقترب للقمة كل من عاشق ونوح ابني دخيل الله، ولكن يبقى لكل واحد حكايته الخاصة التي قد تبتعد قليلاً عن عالم دخيل الله الضبادي.

لتكون جزءًا من سيرة طويلة بدأت مع ولادة دخيل الله الضبادي، وأكملها دخيل بن مانع بن دخيل الله الضبادي. بين الجد والحفيد سيرة قد يعرفها البعض، في حي يُسمَّى بالصالحية، في الجنوب الشرقي من وسط الرياض. هذه الرياض الشاهد الصامت لأناس يمارسون حياةً



Twitter: @ketab_n

خاصـةً فـي أحيائهـا، بعضهـم لـم يغادر أعمـاق المدينة، والآخر قذفته السنوات إلى الجهات الأربع شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا، فاختار كل اتجاه طبقة خاصة.

هذه الرياض المملوءة بأسرار الناس تبقى مكانًا يحتضن السادة والعبيد، الأغنياء والفقراء، الناجحين والفاشلين، وبكل تأكيد تحتضن العديـد ممـن آثـر أن يكـون علـى هامش الحياة، يولد ويموت دون أن يحـرك سـاكنًا فـي عالـم يمـوج بالمتغيرات. قد تختزن الرياض سـيرة البعض، ولكن من المؤكَّد أن سـيرة آل الضبادي تحكي قصة بعض الناس، ولكن قد لا تضيف شيئًا لحكاية مدينة.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**لزهرةِ النَّرجسِ حكايةٌ أخرى**
**لكل مَن تأملَ وجهَهُ في المرآةِ**
**حكاياتٌ كثيرةٌ**
**حكاياتٌ أخيرةٌ**

## (3)

قد يكون الاسم عبئًا على صاحبه، وقد يحدد بعض سماته، وقد يكون عبئًا على الآخرين. هذا ما حدث للابن الثاني لدخيل الله، الذي أسماه (عاشق) على اسم شاعر سمع قصيدته ذات مساء فأعجبته، هذا العشق خصَّ به جزءًا كبيرًا لنفسه، فأصبح الابن أنانيًّا يريد أن يمتلك كل شيء. فمنذ أن بدأ عاشق يعي أن له اسمًا مختلفًا عن الآخرين اختط لحياته نسقًا مغايرًا لكل من حوله، وبالذات أخوه مانع، لذا قرر أن



Twitter: @ketab_n

يكون العاشق والمعشوق. اعتنى بهندامه، تعبت أمه «فطيمة» من ذلك الهوس بالنظافة والتأنق. وأطلقت عليه أخته سبيكة اسم «الأفندي». ربما تتوقع أن الأفندية هم الذين يتَّسِمون بالأناقة.

كان له خزانة ملابسه الخاصة، وقد سعى بكل جهده أن تكون له غرفته الخاصة فيما بعد، لم يعتمد عليه والده كثيرًا، وبسبب ذلك لم يشارك أخاه مانع العمل في محل بيع الزل والبشوت، الأمر الذي ولّد لدى دخيل الله الإحساس بأن (عاشق) كان من المفترض أن يكون ولد شيوخ وليس ولد دخيل الله الضبادي، لذا فشخصية عاشق وهي تنمو في داخله تبقى غريبةً عن حي الظهيرة، وبالتأكيد حي الصالحية، فالأفندي أو ولد الشيوخ يحتاج إلى قصر وليس بيتًا شعبيًّا يقطنه مع أخوين وثلاث أخوات وأم تبحث عن رضاه وسعادته حتى كاد أن يسمى «دلوعة أمه»، وأب شغلته دنياه لكسب الرزق فلم يُعِره أدنى اهتمام، ولم يعتمد عليه ليساعده في محل الزل بالديرة.

اكتفى بما حصل عليه من تعليم بسيط، ليلتحق بعد ذلك بمعهد للتدريب على استخدام الآلة الكاتبة، ولكونها تعطي شيئًا من التميُّز أتقن الكتابة عليها بسرعة أعجبت من شاهده وهو يطبع الخطابات والتقارير، ليجد وظيفة ناسخ في إحدى الدوائر الحكومية، وليكوّن بعد ذلك علاقات جيدة مع بعض الموظفين الذين أعجبوا بهيئته وحققوا شيئًا من غروره، وليتعرف من خلالهم فيما بعد على علية القوم والأثرياء، وليجد بعد زمن قصير بغيته عندما سنحت له الفرصة ليعرض خدماته على سويّر النسيجان بعد أن أعجب بجرأتها وثروتها، حين شارك بشهادته مع صديق له على شراء أرض لها، هذا الإعجاب تحول إلى زواج من امرأة تكبره بعشر سنوات، ولتبدأ مرحلة جديدة



Twitter: @ketab_n

في حياة عاشق بن دخيل الله الضبادي.

«عاشـق سـويّر» كما أسـماه والده دخيل الله بعد زواجه بسـنة، عندما سقط دخيل الله عند مدخل البيت وكُسِرَت ساقه، ومكث قرابة الشهر دون أن يزوره ابنه عاشق لارتباطه بمجموعة من الأعمال لزوجته داخـل وخـارج مدينـة الريـاض، وقـد تقبَّـل هـذا الاسـم بصدر رحب لإحساسـه بخطئـه ولمعرفتـه بوالـده. وقـد جعل جهـده في تنمية ثروة زوجتـه وتنفيـذ أوامرهـا، الأمـر الذي حقق له بعض الصيت والوجاهة في المجتمع لتنفيذه مقولة (اقرب من السعيد تسعد) فما بالكم بمن يتزوج السعيدة.



Twitter: @ketab_n

*Twitter: @ketab_n*

**العالمُ مُتَّسِعٌ**

**أنـا الوحيدُ**

**أنـا أفقٌ مُتَّسِعٌ**

**(4)**

من يعرف أبناء دخيل الله يعرف أن وضع نوح في الأسرة مختلف تمامًا، فمع مولد نوح كانت اللبنة الأولى لحركة عدم الانحياز التي وضعها جمال عبد الناصر وجوزيف بروز تيتو وجواهر لال نهرو وشواين لاي وأحمد سوكارنو، في مدينة باندونج في إندونيسيا.

وقتها لم يسمع دخيل الله مطلقًا بهذا الاجتماع، ومن المؤكد أنه لا يعنيه مطلقًا وجود قوتين عظيمتين في العالم، وهنالك انحياز من بعض الدول الصغيرة والضعيفة لإحدى هاتين الدولتين، ربما ما



Twitter: @ketab_n

أسعده هو وجود مانع في المحل لمساعدته، وأنه بدأ يعتمد عليه في البيع والشراء، إضافةً إلى أن الله مَنَّ عليه بولد ثالث ليختار له اسم نوح، هذا الاسم ليس له علاقة بالسياسة مطلقًا، فقد اختاره دخيل الله بعد سماعه لقصة نوح أثناء تفسير إمام المسجد ووالد فطيمة لبعض آيات القرآن الكريم، ولكن بعد سنوات حقق نوح بعض مبادئ عدم الانحياز بزواجه من امرأة أمريكية أمها ذات أصل صيني، وتزويج ابنته لرجل يحمل الجنسية الكندية وهو من أصل سوري.

نال نوح الدكتوراه بعد أعوام حافلة بالدراسة والعمل، فهو منذ صغره يبحث عن تميُّز، فعندما تخرج في الصف الثالث المتوسط وعمره لم يتجاوز الثمانية عشر عامًا، قرر ترك الدراسة والاتجاه إلى العمل. عمل في وزارة المواصلات، وبعد أربع سنوات وجد أن الشهادة الدراسية التي يحملها لن تحقق له ذلك التميُّز الذي ينشده، رغم حصوله على مرتب شهري معقول، واصل دراسته ليكمل الثانوية العامة، ثم ما لبث أن وجد فرصة ابتعاث لدراسة البكالوريوس في الولايات المتحدة الأمريكية، كان سعيدًا بذلك، لاسيما وأنه سيتقن اللغة الإنجليزية، إضافةً إلى أنه سيتعرف على عالم جديد.

حطّت به الرحال شمال غرب أمريكا، ليدرس في إحدى جامعات سياتل، ليحصل على الشهادة الجامعية بعد ست سنوات، أثناء ذلك ارتبط بـ «سيتا» التي كانت تعيش مع والدتها الصينية والتي أصبحت فيما بعد مواطنة أمريكية، وبعيدًا عن والدها الأمريكي الذي لم تره طيلة عمرها، سيتا كانت هجينًا بين الأمريكي والصيني، مما أكسبها جاذبية خاصة، وهذا ما جعل نوح يتعلق بها، ويقرر مباشرةً كشرقي الزواج بها، لتُنجب له ابنة أسماها «فطيمة» ليكسب رضا ودعوات



Twitter: @ketab_n

والدتـه، كان مـن المفتـرض أن يعـود بعد حصوله على البكالوريوس، ولكنه شعر برغبة في البقاء وإكمال الدراسات العليا، لاسيما وتقديره الدراسـي يؤهله لذلك، حاول أن يعمل ويكمل دراسـته على حسـابه، لكنه اضطر أن يعود إلى المملكة مع أمل بالحصول على بعثة أخرى، مصطحبًا معه زوجته وطفلته مع وعد لوالدتها بالعودة إلى أمريكا حال إكمال إجراءات البعثة.

* * *

فرحت فطيمة كثيرًا بحفيدتها التي تحمل اسـمها، وفرحت أكثر عندما أخبرها نوح بأن سيتا أعلنت إسلامها، بينما كان تعليق دخيل الله عندما جاءت سيتا للسلام عليه بصُحبة زوجها نوح، حين لاحظ صغر عينيها الذي ورثته من والدتها: «مسافر لآخر الدنيا على شان يتزوج هذي، لو ما تعّب نفسه وراح لمكة أكيد يلقى مثلها واجد عند الحرم».

كان نـوح يعـرف والـده جيـدًا، لذلـك لـم يغضب منه، ما أغضبه هو عدم قدرته على الحصول على بعثة لإكمال الدراسات العليا، مما اضطره إلى الانخراط في العمل في المؤسسة التي ابتعثته، ليسكن في مجمع سكني بالعليا أغلب سكانه من ذوي الجنسية الأمريكية، وكان مشـروعه مع زوجته العمل لكسـب مبلغ جيد من المال والاسـتفادة منه بالسـفر والدراسـة في أمريكا، عملت سـيتا في معهد لتعليم اللغة الإنجليزية، وأدخلت فطيمة في روضة أطفال، ثم مدرسة ابتدائية.

نوح بن دخيل الله الضبادي، عاش مع أخوين مختلفين، فمانع رجل بسيط ليس لديه طموح سوى كسب مودة الآخرين وبر والديه والاكتفـاء بمـا يحصـل عليـه مع والده من مبيعات المحل الصغير، أما عاشق فعلى عكس أخيه الكبير مانع رجل يحب الشهرة والتميُّز، وغير



Twitter: @ketab_n

مقتنع تمامًا بحال عائلته، يتمنى أن يكون من علية أهل الرياض، لذا فنوح لا يرضى أبدًا أن يكون بسيطًا متواضعًا مثل مانع، في الوقت ذاته لا يطمح بشـهرة أو ثروة كأخيه عاشـق، فهو يبحث عن تميز خاص، يرتبط بالعلم والمعرفة. وهذا أملى عليه سـلوكًا خاصًّا جعله القريب البعيد من عائلته.



Twitter: @ketab_n

**صفحاتُ كتابكَ بيضاء**
**قد لا تستطيع أن تـكتب حرفًا واحدًا**
**الحروفُ قد يعجبُها ذاتَ يومٍ ذلكَ البياضُ**

## (5)

كان حديـث أغلـب الرجـال عـن حصـار بيـروت ومجزرة صبرا وشـاتيلا، ذلك الحديث كان في فناء بيت كبير يُسـتَخدَم أحيانًا قصرَ أفراح في حي الشفا جنوب الرياض، المناسبة زواج راشد بن عليان مـن حمـدة ابنـة علـي اللوحان شـقيقة أمينة زوجـة مانع بن دخيل الله الضبادي.

دخيل الله الضبادي سعيدٌ بزواج أكبر أحفاده، اختار له بشتًا ملكيًّا، بني اللون، مزدان بخيوط زري مذهبة.


Twitter: @ketab_n

راشد سعيدٌ بهذا الزواج لأنه سيكون عديلاً لخاله مانع، إضافةً إلـى أن زوجتـه حمـدة خريجـة معهـد المعلمات، وتعمل في مدرسـة ابتدائية للبنات في حي غبيرة، وهو باشـر عمله مدرسًـا لمادة التاريخ في متوسطة بحي العريجا منذ أشهر بعد تخرجه في كلية التربية.

بيـروت قـد لا تهـم أغلـب مـن حضـر حفل الزفـاف هذا، ولكن هنالك من يرى أنها عاصمة الثقافة والنشـر، ومن هؤلاء راشـد الذي كان يحرص كثيرًا على اقتناء الكتب وقراءتها، وقد جعل الغرفة الوحيدة في الدور العلوي لبيتهم الشعبي الذي استأجره بالقرب من بيت جده بالصالحيـة، مكتبـة جمـع فيهـا مـا قدر على اقتنائـه من أمهات الكتب والمصادر، وبالذات كتب التاريخ والسِيَر.

كانـت أمنيـة راشـد الذهـاب إلى بيروت، هـذه الأمنية لم تتحقق بسبب تأجيله لمشروع السفر سنوات عديدة حتى يصبح وضعه المادي جيـدًا، بعـد زمـن اسـتطاع أن يكـوّن مبلغًـا جيدًا من المال. في الوقت ذاتـه وجـد أنـه أب لأربـع بنـات وأربعـة أبناء، اثنـان منهم توأم، والتي جعلت أسرته كبيرة ليشتري فيما بعد بمشاركة زوجته حمدة فيلا جنوب ملعب الملز.

كدح ورتابة، راشد وزوجته حمدة ترسان في آلة الحياة، في مدينة بدأت تتشـكل وتتسـع، هي الرياض، آلاف الرجال والنسـاء يعيشـون بنسق واحد يبدأ من الاستيقاظ باكرًا، والتوجُّه إلى المدارس، وتقديم درس يومي يتكرر كل عام، لا يتغير سـوى وجوه الطلبة والطالبات، فليـس غريبًـا أن تمـر السـنوات، دون أن يعـي أحدهـم أنـه تحول إلى مروحة كبيرة لطاحونة هواء، تدور دون أن تغادر مكانها. ربما المتغيّر البسـيط هـو تحـول راشـد إلـى رجـل كادح يهمه الحصـول على ثروة



Twitter: @ketab_n

جيدة، وهذا ما تحقق له.

* * *

بينما كانت أجهزة الإعلام تتناقل خبر اتفاق الطائف، عندها شعر اللبنانيون بالفرج بعد سنين الحرب الأهلية التي عاشها لبنان، إضافةً إلى الاجتياح الإسرائيلي، كان هنالك فرج آخر تحقق لنوح بن دخيل الله الضبادي عندما حصل على بعثة لدراسة الماجستير والدكتوراه، ودع نوح الأهل مغادرًا إلى أمريكا ليقضي ست سنوات أخرى، ليحصل فيما بعد على الماجستير والدكتوراه من جامعة سيركيوس في ولاية نيويورك، وليعود وقد أضيف إلى اسمه حرف الدال.

الدكتور نوح لم يكن كوالده حاد الطباع، لذا فالجميع يفتخرون به ويقدّرونه. عالمه الخاص الذي اختاره جعل علاقته بأسرته محدودة، ووقته مشغولاً بالأبحاث والاستشارات والمؤتمرات، وعلى الرغم من ذلك كان يحرص على حضور جميع مناسبات عائلته، فهو مهما يكن ابن دخيل الله الضبادي.

* * *

راشد بن عليان أستاذ التاريخ انتقل إلى مدرسة ابتدائية في حي الزلفي ليكون مديرًا لها، استسلم كثيرًا لمتغيرات الحياة وضغوطها، اعتنى بذقنه الصغير، وبدت ملامح كرش جعلت بعض أثوابه تضيق عليه، قلَّت قراءاته وامتهن بيع وشراء العقارات ليصبح شريكًا لزوج أخته الكبرى منيرة بالمحل الذي يقع في شمال الرياض، شريكه هذا الذي عرفه الناس بأبي صخر، رغم أن ابنه صخر غيَّر اسمه بعد أن كبر إلى عبد العزيز. أبو صخر كان يمتهن إضافةً إلى سمسرة العقارات، بناء البيوت والفلل، ثم بيعها بربح بسيط، حيث كانت متعته متابعة



Twitter: @ketab_n

العمل والعمال والإشـراف عليهم، ومرات عديدة كان يقول لزوجته منيرة بنت عليان أن البيت الذي يبنيه حاليًا سـيكون لهم، وسـيتركون بيت الإيجار في النسيم، ولكن ما إن ينتهي من البناء ويأتيه ربح بسيط حتى يبيع البيت وتتلاشى أحلام منيرة وأبنائها.

حمدة لديها شـخصية أقوى من منيرة أخت زوجها، لذا فراشـد لا يجرؤ مطلقًا أن يقوم بمشروع ما دون استشارتها.

دخيل الله الضبادي علق ذات يوم على خلاف بين حمدة وإحدى بناته، محدثًا زوجته فطيمة بأن «حمدة فيها عرق نجاسة».

هذه النجاسة ليست ملموسة، فهي ولكونها معلّمة اكتسبت قدرة على الكلام والجدل، حتى إن من يستمع إليها يذهل منها ويقول إنها امرأة طيبة وتحب الخير للجميع، وقد يكون في ذلك بعض الحقيقة، ولكن ثمة نجاسة كما قال دخيل الله.



Twitter: @ketab_n

**الصوتُ الأولُ لك**

**الصوتُ الأخيرُ لك**

**بعضُ الأصوات لا تعرفُ كيفَ تبدأ أو تنتهي**

## (6)

لا بد من غيوم سوداء تعكر أحيانًا صفاء أسرة الضبادي، والتاريخ يحفل بأحداث جعلت وجه مدينة الرياض كئيبًا، لاسيما عندما توقع الجميع أن بوادر حرب قد تطالها، وذلك حينما اجتاح جيش صدام الكويت، كان هنالك خوف من حرب كيميائية، وكانت إذاعات صدَّام ولندن والأغاني الوطنية تكرّس ذلك الوجوم، هي حقًّا الحرب، الجميع يشاهد المجندين والمجندات الأمريكان، والجميع يتداول سرًّا بيانات الشجب والرفض لوجود الأجنبي، والعالم يرغب أن تعود الكويت،



Twitter: @ketab_n

ويخاف على العراق من يوم أسود، ويخاف من العراق بأن يقوم جيش صدام بعمل طائش، لاسيما وهو ليس بعيدًا عن آبار النفط.

كان ذلك في مساء يوم خميس، وكانت أسرة الضبادي مجتمعة في بيت الصالحية، كانت علامات الاستياء باديةً على الجميع، وبالذات دخيل الله، وهو يُنصت لأخبار لندن من خلال الراديو الروسي الذي أحضره عاشق له، الغائب الوحيد نوح الذي هاتفهم من أمريكا للاطمئنان على صحتهم.

كانت أسرة الضبادي كباقي الأسر في مدينة الرياض تعيش قلق الأحداث، ولكن ثمة غيومًا عكَّرت سماء هذه الأسرة، فضمن الأحداث التي مرت على عائلة الضبادي في تلك الفترة، وكانت حمدة زوجة راشد بن عليان طرفًا فيها، إشاعتها بأن سويّر النسيجان زوجة عاشق بن دخيل الله كانت ضمن النساء اللاتي شاركن في مسيرة قيادة السيارات، وذلك بعد غزو الكويت، كان ذلك بحضور الجدة فطيمة وأختها أمينة زوجة مانع وبعض البنات، ومنهن خديجة ابنة مانع الكبرى التي عرف بشدة تديُّنها، حيث قالت حمدة إن سويّر على علاقة مع مجموعة من النساء اللاتي نزعن عن وجوههن غطاء الحياء لكونها سيدة أعمال ولديها المشغل النسائي الكبير، دعت لها الجدة فطيمة بالهداية وتمنت أن يكون الكلام عنها غير صحيح، وطلبت منهن التكتم على الخبر حتى لا يصل إلى مسامع دخيل الله، وقد وجدتها خديجة فرصة لأن تطلب من جدتها دعوة كل بناتها وحفيداتها إضافةً إلى سويّر زوجة عاشق لتتحدث أمامهن عن خطر السفور والتبرُّج، وتقرأ عليهن بعض الفتاوى ومقاطع من الكتب التي تناولت الحجاب ودعت إليه.



Twitter: @ketab_n

غضب دخيل الله كثيرًا عندما بلغته شائعة سويّر وقيادة السيارات، وقال: «صحيح إن الحرمة فيها شوفة نفس، ولكن أعرفها، تحسب ألف حساب قبل أن تقوم بمثل هذا العمل، وإلا كيف صارت تاجرة».

عاشقٌ ذَهَبَ غاضبًا إلى مكتب العقارات حيث يجلس ابن أخيه راشد بعد عصر كل يوم، طالبًا منه أن يمنع زوجته حمدة، أو كما يسميها عند الآخرين أم أحمد، من التحدث عن زوجته سويّر، أو كما يسميها أم مازن، بالطيب أو الرديء، كان الكساد قد ألقى بظلاله على العقارات بسبب ظروف الحرب، لذا فقد قرر راشد مغادرة المكتب وطلب من خاله الذهاب إلى زوجته أم مازن، وسيأتي مع أم أحمد، وستعتذر عما بدر منها، وقد كان رد حمدة صارمًا بالرفض.

لذا فقد أرجأت التحدث معها حتى ذلك المساء الذي دعتهن فيه الجدة فطيمة، لتقول حمدة لسويّر: اسمعي يا أم مازن، الكلام الذي قلته عنك وصلني من بعض الناس، تسمعينه من عائلتك أفضل من أن يتناقله الناس عنك».

أرادت خديجة تهدئة الأمر لتكسب أكبر وقت لتقديم محاضرتها، ولكن ارتفع صوت سويّر لتقول:

- اسمعي، واسمعوا جميعًا، أنا أعرف نفسي وواثقة منها، الله أعطاني وكثّر، عندي عملي وعندي الكثير من الموظفين والموظفات، لا يوجد أحد مسئول عني إلا زوجي وعيالي، أجلس، أسافر، أقابل أحدًا، ليس لكم دخل أبدًا.

- يعني بصراحة أنت شاركت مع مظاهرة قيادة السيارات؟

«أطلقت هذا السؤال أمينة زوجة مانع؛ أملاً أن تُجيب بالإثبات حتى تتفاخر بها بين النساء.



Twitter: @ketab_n

- للأسف: لا.

- تقولين للأسف، إذًا أنتِ راضية عن فعلة أولائك النسوة؟

قالت ذلك خديجة بما يشبه الاستنكار.

- أنا لست في موقف الهجوم أو الدفاع عنهن، أنا الآن أتحدث عن نفسي، أنا سويّر بنت مبارك النسيجان، لا أحب أن يتعرض أحد لي أو لعيالي وزوجي، علاقتي بالله واضحة، وأعرف ماذا أعمل، أتمنى أن نحترم بعضنا، ولا داعي للكلام يا أم احمد، فكل واحدة تعرف حدودها.

غادرت سويّر المكان بعد أن استأذنت من الجدة فطيمة ووعدتها بأن تنسى ما حدث وتبدأ حياة جديدة مع الجميع، وبعد أن صافحت حمدة لتأكيد حسن النية.

ربما المشروع الذي أجهض تلك الليلة محاضرة خديجة، فالجدة طلبت من حفيداتها بعد مغادرة سويّر إحضار بعض الدفوف. بدأن يقرعن عليها ويغنين بعد أن أسمعتهن بعض القصائد.

سمع الرجال صوت الدفوف، وقال دخيل الله: «أصحت» لم يكن هنالك غيوم أو مطر ذلك اليوم، فعلم الجميع أن الغمامة انقشعت، وساد الود والصفاء بين النساء. وعلق عليان: «الله الهادي». بينما مسَّد سعد بن عليان لحيته الكثة وغادر المجلس مكتئبًا.

لم يكن هذا الاكتئاب بسبب عودة العلاقة إلى طبيعتها بين النساء، ولكن لكون أخته سعاد أخبرته أن ابنة خاله خديجة التي يرى فيها الكثير من الخير والصلاح ستتكلم عن السفور والحجاب، وحيث إن صوت الدفوف سُمِعَ بعد هدوء أصوات النساء فذلك يعني أن المحاضرة لم تتم.



Twitter: @ketab_n

لاحظ دخيل الله مغادرة سعد المفاجئة للمجلس بعد سماعه صوت الدفوف، أومأ بيده لعليان وقال له: «قل لولدك، اعقل، ليش ما يبي الوناسة؟» أحسَّ عليان بغصة، لم يستطع أن يرد.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**قد تحفرُ بئرًا**

**قد تحفرُ قبرًا**

**قد تكونُ البئرُ فناءً**

## (7)

منذ سنوات كان عليان يشعر بسعادة بسبب نبوغ ابنه سعد وتفوقه العلمي، كان يأمل أن يحقق مركزًا مرموقًا ويجعل له قيمة في المجتمع، فبعد أن اجتاز الثانوية العامة بتقدير مرتفع سجَّل في كلية الطب، ثم ما لبث أن ترك الدراسة بعد فترة من الزمن والتحق بكلية الشريعة وتركها أيضًا، غادر إلى أفغانستان وانقطعت أخباره لمدة سنتين، ثم عاد قبل غزو الكويت بثلاث سنوات، كان أكثر حِدَّةً وتطرفًا.

ذات يوم سكن بالقرب من بيت عليان رجل عرف فيما بعد أنه



Twitter: @ketab_n

قريب لأحد أعضاء هيئة كبار العلماء، فطلب منه عليان أن يحدد موعدًا لزيارة قريبه، وكان أمله الأكبر أن يكون سعد معه ربما يغير بعض مواقفه، ولكن صدمه سعد بقوله أنه لا يرغب لقاء أولئك الناس فهم فقهاء السلاطين، كبر الخوف في داخله وبدا الأفق أسود كالحًا، دعا له كثيرًا بالهداية، ذرفت عيناه الدمع عند عمه دخيل الله وهو يحدثه عن تحول سعد من طالب مثالي يدرس في كلية الطب إلى رجل يتلقَّى تعليمه من كلية الفناء.

* * *

في ذلك المساء الذي دعت له الجدة بعد حادثة قيادة النساء للسيارات، جاءت سويّر مع سائقها الخاص، حينها لم يحضر عاشق لبيت والده لارتباطه بموعد مع مجموعة من الخبراء قَدِموا من ألمانيا للمشاركة في مشروع خاص بالمختبرات الطبية، لم يقتنع دخيل الله بذلك وقال: ويش المشروع الذي يُقام في هذه الأيام؟ أكيد طلبت منه الجلوس عند بزارينها، خايفة عليهم من الكيماوي».

وحقيقة لم يكن هنالك لقاء مع خبراء ألمان، وأيضًا لم يبق عاشق مع أبنائه في البيت، فقد طلبت منه سويّر أن يلتقي بأحد الأشخاص الذين لهم علاقة بتقديم الخدمات والمؤن لقوات التحالف، فالفرصة مواتية لكسب عدة ملايين بتأمين بعض المستلزمات المعيشية لذلك العدد الكبير من المقاتلين المتَّجهين شرقًا، وشمالاً.

شعرت سويّر أنها كسبت معركتها، ليس مع حمدة فقط بل مع الجميع، فلن تجرؤ أي واحدة منهن أن تتحدث عنها مستقبلاً. ربما تنازلت قليلاً أو سامحت ولكن هذا بسبب إقناع الجدة فطيمة أو «يمّه» كما يناديها الجميع.



Twitter: @ketab_n

ثروة سويّر الكبيرة هي التي حققت هذا الكسب وذلك الصيت، الجميع يحسدها على تلك الثروة التي ورثت معظمها من والدها مبارك النسيجان، أحد أبرز تجار العود في زمن سابق وصاحب العديد من العقارات، وبالذات في مكة والمدينة التي طالتها التوسعة ليحصل على تعويض مالي كبير من الدولة. هذه الثروة توزَّعت بعد موته بينها وبين أخويها اللذين حقَّقا الكثير من الوجاهة الاجتماعية وتبوأ أصغرهما منصبًا قياديًّا بالدولة. تعرَّفت على عاشق عندما مثل شاهدًا مع صديق له على بيع أرض لها، أعجبته جرأتها وعرض خدماته عليها، كانت تكبره بعشرة أعوام وهو لا يزال فتى مملوءًا بالحيويَّة والنشاط، وافقت ثم ما لبثت أن عرضت عليه الزواج، لم يتردد ولم يستشر أحدًا، وافق، كان ذلك في السنوات الأولى لحكم الملك خالد، لتبدأ طفرتهما.

لم يعترض دخيل الله مطلقًا على الزواج، بينما كانت سبيكة تقول لأمها لو طلب من أخواته البحث عن امرأة جميلة وثرية لوجدنا من هي بعمره وليس أكبر منه بعقد من الزمن، عاشت سويّر في البدء صراعًا مع أخويها، ثم ما لبثا أن غيَّرا رأيهما بعاشق عندما رأيا مدى انصياعه لزوجته وحبه لها، إضافةً إلى نفوذ شخصيتها وعدم وضع ثروتها بين يديه، هي من اختار أسماء أبنائها مازن ورحاب ثم طارق، حرصت كثيرًا على مملكتها، وكانت تشعر بالنشوة وهي تسمع ما يتناقله البعض عن تسمية دخيل الله لابنه، زوجها «عاشق سويّر»، وكانت ترد دائمًا: «وفيه عيب عندما يحب الرجل زوجته ويعشقها؟».

* * *

في ذلك المساء، وبعد خروج سعد من المجلس عند سماعه



Twitter: @ketab_n

صوت الدفوف وغناء النساء، كادت غمامة الوجوم والاكتئاب أن تغطي مجلس الرجال، لولا وجود الأخوين بكر وعيسى زوجي ابنتي دخيل الله حسناء ولولوة اللذين أحضرا أبناءهما معهما. كانت لديهما القدرة على التناوب في إطلاق الطرف والنكت، مما جعل مانع يستلقي على الأرض من الضحك، وتدمَع عينا عليان وهو يكتم الضحكات. حينها علق دخيل الله عليهما قائلاً: «الظاهر إني زوجت بناتي على مهابيل».

لم يشعر بالضيق منهما مطلقًا، بل كان يحرص دائمًا على وجودهما في كل اجتماع للعائلة. بكر يعمل مراقبًا صحيًّا في البلدية، وكان دائمًا يحكي قصصه مع أصحاب المطاعم والمحلات، بينما يعمل عيسى في فرع للبنك التجاري في البطحاء، هما يرصدان الناس دائمًا ويحولان الحدث المأساويَّ إلى حكاية يضحك منها الجميع، ويتقنان تقليد لهجات الناس، سواء من الدول العربية أم داخل المملكة.

لم يكن ذلك المساء هو الوحيد الذي اجتمعت فيه العائلة، بل كانت فطيمة التي تسعد بأن الجميع ينادونها «يُمَّه» تحرص على أن يجتمع بناتها وزوجات أبنائها وحفيداتها مساءَ كل خميس، وبالطبع كان الرجال يأتون معهن.


Twitter: @ketab_n

**لقاءٌ لرجلٍ وامرأةٍ**

**لقاءٌ لرجالٍ ونساءٍ**

**لقاءٌ قد يتمُّ**

## (8)

احتفل أهالي الكويت بخروج جيش صدام حسين من أرض يرى أنها فرع للأصل، وبتحرير الكويت بعد أيام كئيبة طالت مدينة الرياض، وأحس أهلها ببشاعة الحرب، وألفت آذانهم أصوات صفارات الإنذار، وفي الرياض وفي مبنى خُصِصَ للأفراح في حي خنشليلة احتفلت أسرة الضبادي بزواج دخيّل بن مانع من سعاد الابنة الثانية لعليان.

كان دخيل الله الضبادي في أوج فرحته لاقتران حفيده بحفيدته، لذا فقد قرر أن يكون سكنهما عنده، في بيت الصالحية.



Twitter: @ketab_n

قد يبدو الأمر عاديًّا أن يسكن دخيّل في بيت جده، ولكن من يعرف دخيل الله يرى أن جميع أبنائه لم يسكنوا عنده بعد زواجهم، بدءًا من مانع وانتهاءً بنوح، وقد بقي هو وزوجته فطيمة وحيدين بعد زواج لولوة الذي كان بعد حادثة جهيمان بثلاث سنوات، ثمان سنوات تقريبًا بقي مع زوجته وعاملة من سيلان تساعدها، حتى قرر أن يسكن معه دخيّل وزوجته سعاد، وهذا ما أسعد الأسرتين: أسرة مانع وأسرة عليان؛ لعدة أسباب، أهمها: فشل دخيّل في الدراسة مما جعله يدخل المعهد المهني ويعمل لدى أكثر من شركة ومؤسسة، حيث كان يعمل بها بعض الوقت ثم يتركها، وبعد مغادرة اليمنيين أرض المملكة وجد فرصةً لممارسة التجارة الحرة، فقد تقبل محلاً لبيع زينة السيارات يطل على دوار الخرج بمساعدة أبيه وجده اللذين دعماه ببعض المال، كان الجميع يعلم أنه لا يقدر على شراء أو استئجار بيت في ذلك الوقت، ودخيّل عندما وُلِدَ سمَّاه والده مانع على اسم جده دخيل الله، ثم في أشهره الأولى خفف الاسم بحذف لفظ الجلالة، وأحيانًا تصغير الاسم بتشديد الياء مع كسرها وكسر الدال، حتى يوحي بأن فيه شيئًا من الدلع، وربما للتفريق بين الجد والحفيد عند العتاب أو العقاب.

دخيّل أخذ من جده سرعة غضبه، وأضاف عليها شيئًا من الرعونة في التعامل مع الآخرين، وهذه تسببت في عدم إكماله دراسته حيث عوقب مرات عديدة لتطاوله على بعض الطلبة والمدرسين. وانتهى الأمر بصدور قرار طرده من مدرسته وحرمانه من الدراسة لمدة سنة، عندما حطم زجاج سيارة أحد المدرسين. حتى عندما التحق بالمعهد المهني تحاشاه الجميع عندما عرفوا ما اقترف من مشكلات، الأمر الذي جعله يجتاز المعهد بنجاح متواضع.


Twitter: @ketab_n

ومـن يعـرف سـعاد الابنـة الثانيـة بعـد منيرة لعمة دخيّل سـبيكة، وابنـة عليـان، يشـعر بكثيـر مـن الحـزن عليها، فهي تمتلـك الكثير من الجمال وإن اكتنـز جسدها قليلاً، ولكن هنالك بعض الثقل في حديثها وتفكيرها، عندما عرضها والدها على بعض الأطباء قالوا ليس بها أي عاهـة عقليـة ولكـن ربمـا ورثـت بـطء التفكيـر وردة الفعل من إحدى قريباتها. هي تعرف كل شـيء وتقوم بكل ما يُسـنَد إليها من أعمال، عدا الأمور التي تحتاج إلى تفكير فتبتعد عنها، وبسبب ذلك لم تستطع إكمال دراسـتها، وبقيت في البيت تسـاعد والدتها. وقد أحبتها كثيرًا جدتها لأمها فطيمة، وأشفقت عليها، وسعدت كثيرًا عندما وافق دخيّل علـى أن يتزوجهـا، وتكحلـت عينـا فطيمة بعـد زمن وقبل انتقالها إلى الرفيق الأعلى بإنجاب سعاد ابنتين وولدًا، إحدى الابنتين حملت عاهة أمها.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**يبتعدونَ قليلاً**

**هُم يبتعدونَ**

**عَنهُم يبتعدونَ**

## (9)

مـع إلحـاح دخّيـل ولمتابعـة أخبـار العالم، وافق دخيل الله على وضع جهاز تلفزيون صغير في مجلس الرجال. وقد حرص أن يكون داخل خزنة صغيرة حتى لا تقع أعين بعض ضيوفه عليه. ومع الزمن تسرب «كيبل» صغير ليرتبط بجهاز استقبال وطبق في سطح المنزل، كان دخيل الله يستمتع بمشاهدة المصارعة الحرة، ويتابع الأخبار، وكان يستاء كثيرًا حين لا يتم عرض المصارعة في وقتها المحدد، بل أحيانًا تطال لعناته المذيع وهو يعتذر عن عدم عرض برنامج المصارعة لضيق



Twitter: @ketab_n

الوقت، وعندما يجتمع الرجال في بيته يحرص أن يكون التلفزيون مغلقًا، لكي تتاح الفرصة للحديث وسماع الأخبار، وما يحصل عليه مانع من جديد الشعر، إضافةً إلى قصص وطرائف بكر وعيسى. أحيانا يتجاوز عدد الرجال العشرين، بالذات إذا اصطحب بعض الأبناء أو الأحفاد صديقًا لهم، وغالبًا يقتصر الحضور على مانع وعليان وراشد ودخيّل، وقد اعتاد دخيل الله على ذلك، لذا قرر أن لا يسأل عن البقية، ربما أطلق تعليقًا ساخرًا، بالذات عندما يتغيب عاشق، حيث يقول: «أكيد لم تسمح له سويّر»، أما نوح فبعد أن عاد من أمريكا حاصلاً على شهادة الدكتوراه بدأ التدريس بالجامعة، ومن ثم استطاع أن يكوّن علاقات جيدة بكثير من الجهات ليصبح مستشارًا في أكثر من موقع، ووفقًا لذلك تعددت أسفاره واجتماعاته. وقد كان تعليق دخيل الله على غيابه: «الله يهدي الدكتور، متعب نفسه، كأنه مسئول عن هذا العالم». ربما الأمر المزعج كثيرًا لدخيل الله هو اكتفاء ابنه نوح بالبنت فقط، وعدم رغبته أن تنجب له زوجته مزيدًا من الأبناء. ذات يوم قال لزوجته فطيمة أثناء حديث بينهما عن وضع نوح: «أنا ودي أعرف ليش ما جابوا غير هذي البنت! أنا خائف إن أم عيون غمص خَصَته بعدما ولدت بنتها». ردت فطيمة مباشرة: «باسم الله على وليدي، الدنيا هي اللي خلته ما يبي الخلفة».

كان حلم فطيمة أن يتزوج مازن بن عاشق حفيدتها فطيمة بنت نوح، تحدثت ذات يوم مع ابنتيها حسناء ولولوة، عن رغبتها تلك، عندها قررت حسناء أن تتحدث مع سويّر وتعرض عليها أمر زواج مازن من فطيمة بصورة غير مباشرة، وأن تقوم لولوة بالحديث مع ابنة أخيها لتعرف رأيها بمازن. كانت إجابة سويّر لحسناء محبطة فقد كان



Twitter: @ketab_n

طموح سويّر أن تقترب للطبقة الراقية من خلال ابنيها وابنتها، وقد أوشكت أن تختار زوجة لابنها مازن من أكبر العائلات في الرياض، اكتفت حسناء لكي لا تصدم والدتها بالقول أن أم مازن كانت تتمنى أن تكون فطيمة لمازن ولكنها تحدثت مع عائلة لم تذكر اسمها وطلبت يد ابنتهم لابنها، وهي كانت ستخبر الجميع بعد الموافقة، وصل الخبر بصورة مشوَّهة نقلتها «سعاد» التي قالت ببراءة لعمها نوح: «ليش خالي عاشق ما يبي مازن يتزوج فطيمة؟» لم يُجِب عن سؤالها وغادر بيت الصالحية غاضبًا.

في مساء ذلك اليوم كان أحمد شريف، الموظف بشركة خدمات أجنبية، يقوم بزيارةٍ لنوح مع أخته فدوى زميلة سيتا في معهد اللغة، التي كانت حريصة على أن يتعرف على أسرة الدكتور نوح، ويقابل فطيمة ذلك المزج الغريب بين أمريكا والصين والسعودية، عندها قرر أن يتقدم لطلب يدها. تربية فطيمة في أمريكا وعلاقات والديها بالجنسيات المتعددة التي تسكن في الرياض جعل الأمر عاديًّا، وقد رأت في أحمد ما تتمناه كل فتاة، فوضعه المادي جيد، وهو حاصل على درجة الماجستير في برمجة الحاسب الآلي، ويطمح في البقاء في المملكة بعد الحصول على الجنسية، والأهم من ذلك أنه متفهم وضع المرأة السعودية، وحريص أن تكمِل فطيمة دراستها في كلية الطب.

بعد أسبوع من سماعه الخبر وزيارة أحمد مع أخته وطلبهما يد فطيمة، أعلن الدكتور نوح موافقته وذهب إلى والديه ليخبرهما، واختار الوقت الذي يكونان فيه معًا. كان ذلك بعد صلاة الظهر، وكانت سعاد قد أحضرت رُطبًا وبدأتْ بصب القهوة لهما. دخل نوح، وبعد تقبيل رأسي والديه قال: «لديَّ خبر سيُفرحكما».



Twitter: @ketab_n

تمنَّت فطيمة أن يكون الخبر خطوبة حفيدها مازن لحفيدتها فطيمة، بدأ قلبها يخفق بشدة عندما سمعته يقول: «فطيمة انخطبت» بادرت سعاد: «مازن ولد خالي عاشق».

رد عليها نوح: «لم يُرِد الله أن يكون مازن، العريس أخ لزميلة سيتا في المعهد».

سأل دخيل الله: «من جامعتها؟».

رد عليه نوح: «بل هو عربي يحمل الجنسية الكندية».

شعرت فطيمة بأن قلبها سيتوقف، الفتاة التي تحمل اسمها ستغادر أسرتهم إلى رجل لا تعرف من يكون، شعرت بأن ثقلاً بدأ يجتاح لسانها، فلم تدرِ كيف خرجت كلمة «الله الموفق» من فمها! بينما وضعت سعاد دلة القهوة وذهبت تبكي بعيدًا، أما دخيل الله فقال له: «أنت أخذت رأينا بزواج الأم لكي تأخذ رأينا بزواج البنت؟ عمومًا هذي بنتك وأنت أعرف بمصلحتها»، قبَّل رأسيهما وغادر البيت بعد أن نادى سعاد وأخبرها بأن لكل إنسان رزقه، وطلب منها أن تفرح لأن فطيمة تحبها ولن تغادر الرياض مطلقًا.



Twitter: @ketab_n

**حكايةٌ بدأت بنهايةٍ**
**نهايةٌ شجَّعت على بدءِ الحكايةِ**
**مَن يبدأ يحكي سينتهي ذاتَ يومٍ**

## (10)

كان خبر خطبة أحمد شريف لفطيمة بذرة ألم ومرارة غُرِسَت في جسد (يمَّه فطيمة)، إضافةً إلى عدد من القروح قضَّت مضجعها، كانت تداريها بالضحك والغناء والرقص مع بناتها وحفيداتها، كانت تبتهل إلى الله كل مساء أن يكفيهم الشر، ونسيت كثيرًا نفسها، كانت ترتاح لسعاد وتعرف قدرتها على التفكير، لذا فقد كانت تتحدث كثيرًا عن معاناتها وشدتها وقسوتها، وتتحدث عن حزنها لأوضاع أبنائها التعيسة، فمانع وإن كان أحسنهم من وجهة نظرها لم يقدر أن يوسع



Twitter: @ketab_n

تجارته، وعاشق وإن لم يكن عاقًّا جعل زوجته مفضَّلة على أمه في كثير من الأشياء، وكان أكثر ما يؤلمها شخصيته التي مُسِخَت، بحيث أصبح «زوج الست» كما يطلقون على شبيهه في المسلسلات المصرية، أما نوح فقد آلمها زواجه من الخارج واكتفاؤه بابنة واحدة، وزاد من الألم تزويج ابنته لرجل غريب، ثمة أمور كانت تتحدث عنها، مثل الخلافات بين زوجات الأبناء وزوجات الأحفاد، وممارسات البعض مثل الجدال بين خديجة وبنات عماتها وأعمامها، أو ممارسات راشد ودخيّل وسعد، إضافةً إلى ذلك البرود الذي جعل بعض الأحفاد لا يحرص كثيرًا على الجلوس عندها أو الحديث معها، وبالذات مازن ومحمد بن مانع.

كانت «يمَّه فطيمة» ترتجل الكثير من القصائد أثناء بوحها لسعاد، ولكن لم تكن سعاد مهيَّأة مطلقًا لحفظ بيت واحد.

ورغم كل الهموم كانت «يمه فطيمة» شامخة كبرجي التجارة العالمي في نيويورك. وفي ذلك المساء سقطت أمام أنظار أبنائها المجتمعين لمتابعة حدث سقوط البرجين الذي تابعه العالم أجمع، سقطت لتغلق الستار على سيرة امرأة طوَّقت عائلة دخيل الله الضبادي بباقات الحب لأكثر من ستين سنة، وليختلَّ توازن رجل كان يستند عليها دائمًا حتى لا يقع.

لم تكن حادثة البرجين بمستوى فاجعة فقد «يمَّه» عند آل الضبادي، سعاد لم تستوعب الأمر تمامًا،حتى عندما حملت بسيارة الإسعاف إلى المستشفى، وحتى عندما حدد الأبناء موعد الصلاة عليها في مسجد الراجحي ليوارَى جسدها بمقابر النسيم. لم تصدق أن عباءتها أُحضِرَت دونَها بعد أن لف جثمانها بها، أخذت العباءة



Twitter: @ketab_n

من دخيّل وقبلتها، وتوجَّهت إلى سجادتها لتحتضن شرشف صلاتها، كانت تنادي، «يمَّه وينك؟» بكى الجميع معها، احتضنتها أمها سبيكة، وهدَّأ من روعها والدها وخالها مانع، بينما ذهب دخيّل لإحضار طبيب ليعطيها حقنة مهدئةً؛ خوفًا من أن تُصاب بالجنون.

أصاب الجميع الحزن، كان التلفزيون مغلقًا، لم يفكر أحد أن يفتحه لمتابعة ردود الفعل العالمية، صاحَبَ الحزن الذي يشعر به نوح قلق على العلاقة مع أمريكا وطريقة تعاملها مع السعوديين حين نشرت صور وأسماء من شارك بغزوة منهاتن كما سمَّاها سعد بن عليان، وكان غالبيتهم من السعوديين.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**حمامةٌ داخلَ قفصٍ**

**وحمامةٌ تطيرُ**

**أحيانًا تطيرُ الحمامةُ داخلَ القفصِ**

## (11)

حصار غريب لا يعيه دخيل الله مطلقًا، لقد ترك غرفة نومه داخل البيت بعد وفاة فطيمة وفضَّل أن يكون سريره في مجلس الرجال الكبير؛ لقربه من دورة المياه، وحيث لا يحتاج أن يمشي عندما يقرر أن يزوره أحد، حصار يجعله لا يتحدث كثيرًا، ولا يأكل كثيرًا، على الرغم من إلحاح ابنه مانع الذي كان يحرص على أن يكون موجودًا فترة الغداء والعشاء. ثمة بعض الأدوية التي بدأ يتجرعها مضطرًّا، حصار النوم والاستيقاظ والأكل والشرب، حصار التنفُّس والرؤية



Twitter: @ketab_n

والسَّماع، حصار مشوب بغيبوبة تنتهي بالموت. أهي السنوات تمنحه هذا الحصار الذي يجعله لا يقدر مطلقًا أن يعبر عن مشاعره بصورة طبيعية؟ كان يرتاح كثيرًا عندما يغادر الجميع البيت ويبقى مع سعاد، كان يسألها بصوته الواهي عن أطفالها، ودخيّل ووالدها عليان.

تقدم فنجان القهوة له وهي تتحدث: «يبه، يمه فطيمة الله يرحمها كانـت تقـول لـي لا تزعّليـن أحـد، أنـا ما أحـب أن يغضب مني أحد، أعمامي كل واحد يأتي مع امرأته ويسلم عليك ويجلس خمس دقائق ثـم يذهـب، الخمـس دقائـق هذه لا تكفي لإعداد القهوة والشـاي، أنا أخاف إنهم يزعلون ويقولون، جينا نسلم على «يبه» وما قهوتنا سعاد، دخيّـل يقـول لا يهمـك منهـم، هـؤلاء إذا لا قـدر اللـه مـات «يبـه» ما تشوفين وجه أحد منهم، صحيح يبه؟».

يستمع إلى كلامها ويهز رأسـه بصورة لا توضح مطلقًا بلا أو نعم، وبصوته الواهي يقول: «لا يهمونك». كان ينظر إلى تأثير السنوات العشـر التي مرت على سـعاد بعد زواجها من دخيل، ترهَّل جسـدُها وكبرت كثيرًا، كان يرى فيها شيئًا من ملامح جدتها فطيمة وكثيرًا من طيبتها، يعرف أن الجميع ينظر إليها كامرأة قدراتها الذهنية محدودة، لذا فمن النادر أن يجلس عندها أحد أو يشـاركها الحديث، باسـتثناء أمها وبعض أخواتها، وقد كانت حمدة تدعوها أحيانًا لزيارتها، وغالبًا هذه الزيارة تسـتفيد منها بتكليف سـعاد بعمل بعض «السـلطات» التي كانت تتقنها فتبقى داخل المطبخ مع العاملات في بيت أخيها راشد، وتكون حمدة مع ضيوفها وغالبيتهن زميلات لها في المدرسة.

كانت تحاول جاهدةً أن لا يتعرَّفن عليها، ذات يوم رأتها إحداهن وقـد كانـت ترغـب الجلـوس معهـن لتناول الطعام سـألت حمدة عن



Twitter: @ketab_n

تلك المرأة، أجابت بعد أن أمسكت بيد سعاد وذهبت بها إلى إحدى الغرف البعيدة، أن تلك المرأة من النساء اللاتي تعطف عليهن وتأتي بها لمساعدتها لقاء مبلغ مالي بسيط.

لم تع سعاد الأمر مطلقًا، كان همها «ألا يزعل منها أحد»، دخيّل كان يتوقع أن خالته حمدة تحن على زوجته، لا سيما وهي شقيقة زوجها راشد، وأن ذلك الاهتمام سيسعد زوجها.

اكتشفت سويّر من خلال حديث مع إحدى النساء اللاتي قمن بزيارة حمدة وهي صديقة لها أيضًا استغلال حمدة لأخت زوجها سعاد، وقد وجدتها فرصة للثأر منها لا سيما أن العلاقة متوترة بينهما منذ سنوات طويلة، فأشاعت بين الجميع ما حدثتها به تلك المرأة، مما أغضب دخيّل ليسأل امرأته عما تعمله في بيت خالته، وليتأكد فيما بعد أن الجميع يتعامل مع زوجته بصورة دونية، وهذا شجَّع حمدة على استغلال بساطتها لخدمتها. حينها قرر الذهاب إلى خالته والاقتصاص منها، قالت حمدة: «احمد ربك أن فيه أحد يتذكر زوجتك ويكلمها، ادع لها بالعافية».

لم يتمالك دخيّل أعصابه فهجم على خالته ليضربها بكل ما أوتي من قوة، ولولا تدخُّل راشد لأنهى عليها، كان الدم ينهمر غزيرًا من أنفها بينما كانت تصيح: «ما الذي أوقعنا مع عائلة المجانين؟»".

تحولت المشادة بين دخيّل وراشد وتصاعدت لتنتقل إلى مركز الشرطة ليوقع دخيل تعهُّدًا بعدم التعرُّض لعائلة راشد بن عليان. هذا الخلاف جعل زيارات راشد مع زوجته لجده دخيل الله نادرة جدًّا وتحدث حينما لا يوجد دخيّل مع زوجته في البيت.

تلك الحادثة أثَّرت كثيرًا على دخيّل؛ فقد شعر بالدُّونيَّة من



Twitter: @ketab_n

الجميع وأحسَّ أنه عالة على جده، لا دخل له سوى ذلك المبلغ البسيط الذي يحصل عليه من بيع مستلزمات السيارات في محله الواقع على دوار الخرج. وزوجته وإن كانت طلباتها محدودة لكنها لا تعمل لتساعده في تحسين مستوى الدخل. ورعونته جعلته يفقد كثيرًا من الصداقات، ولم يجد متنفَّسًا نفسيًّا سوى بناء حظيرة على سطح المنزل، ووضع داخلها مجموعة من الصناديق الخشبية التي تصلح كأعشاش حمام.

لقد وجد أنه يستطيع أن يبني ألفةً خاصةً بينه وبين الحمام، وقد أشار عليه أحد باعة الحمام بالبدء بالأنواع الرخيصة لاكتساب الخبرة في تربية الحمام، ومن هذه الأنواع الحمام البلدي (البغدادي) والهندي والكويتي، لم تمضِ فترة طويلة حتى اكتسب دخيّل الكثير من المعلومات عن الحمام، من ذلك أن الحمام يحتاج إلى عناية من ناحية الطعام، فهو يحتاج إلى تنوع في الغذاء، وقد عرف أن من أغذية الحمام المعروفة القمح والذرة البيضاء والدخن، وكذلك العدس، وقد وجد في الأسواق مخلوط الحبوب وهو المفضَّل لتغذية الحمام بدلاً من شراء كل صنف على حدة. أما للشرب فيفضل وضع الماء في الآنية الخاصة التي تباع لدى محلات الطيور،وقد نصحه أحد باعة الحمام إلى أنه بالإمكان تعويد الحمام على أكل أشياء أخرى مثل الأرز المطبوخ أو الخبز الناشف المطحون على شكل حبيبات، ومن المعلومات المهمة أيضًا التي اكتسبها دخيّل إن الحمام يبيض بيضتين في الغالب وتكون مدة الحضانة من ستة عشر إلى تسعة عشر يومًا، بعد ذلك يفقس البيض عن فراخ صغيرة مغطاة بزغب أصفر وتحتاج تلك الفراخ عادة من خمسة إلى ستة أسابيع لكي تنمو وتصبح قادرةً على الطيران، ويعتمد


Twitter: @ketab_n

ذلـك علـى نوعيـة الغـذاء ومـدى رعاية الأبويـن؛ حيث إن بعض أزواج الحمام لا تهتم بصغارها كثيرًا. وبعد فترة قصيرة استطاع دخيل التمييز بين الذكر والأنثى عن طريق «الشوكات» وهي عظمتان توجدان تحت فتحة الشرج، حيث تكون متلاصقة أو متقاربة عند الذكر ومتباعدة عند الأنثى، وقد ازدادت خبرته مع الزمن حيث استطاع التفريق عن طريق الشكل الخارجي، حيث رأى أن حجم الذكر أكبر من الأنثى، وهو ذو جسم أقوى، كما أن رقبة الذكر أكثر لمعانًا من الأنثى.

لقد اعتادت سـعاد على عالم دخيل الجديد، لا سـيما وأنه هيّأ لنفسـه مكانًـا بالقـرب من الحظيرة،حيـث جلب مجموعة من المقاعد الخشـبية وجعلهـا شـبه متقابلـة ليكـون ذلك «مـركازه» الخاص، وهذا سـاعده على أن يشـتري أرجيلة صغيرة. من جانب آخر اسـتطاع أن يتعرف على بعض هواة تربية الحمام ليزوروه في مركازه الخاص فيما بعـد، ولكـن بقـي الحمـام هو الصديـق الخاص جدًّا لدخيّل، حتى إنه بدأ يتحدث عن أزواج الحمام التي يشتريها أو يبيعها لجده دخيل الله الذي ينظر إليه دون تعليق، وقد شعر كلٌّ من والده مانع وعمه عليان بتحسُّن حالته النفسية وهدوئه بعد أن دخل عالم الحمام، إضافةً إلى الخبرة التي اكتسبها بصورة سريعة جعلت حالته المادية تتحسن، وهذا دفعـه لأن يشـتري «عقـدًا ذهبيًّـا» لزوجته سـعاد، التـي فرحت به كثيرًا وأرته جدها دخيل الله ووالدتها سبيكة وأخواتها، وبسبب ذلك بدأت بمسـاعدته فـي تنظيـف حظيـرة الحمـام، والاعتناء بهـا، وزاد اهتمامها بإعداد القهوة والشاي لضيوفه من هواة تربية الحمام في الوقت الذي زادت فيـه الجفـوة بينـه وبيـن بعـض أقربائه بسـبب حادثة حمدة، التي استغلتها مع زوجها راشد في تشويه صورته.


Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حمامةٌ تبني عشًّا
يدٌ تهدمُ بيتًا
عشُّ الحمامةِ بيتٌ لفراخٍ صغيرةٍ

## (12)

اتفقت كل من سبيكة وحسناء ولولوة بتوزيع أيام الأسبوع بينهن باستثناء يوم الخميس للعناية بوالدهن دخيل الله ومعرفة ما يريد، إضافةً إلى مساعدة سعاد في تنظيف سريره وتغيير الأغطية وتبخير الغرفة، وقد استُثْنِيَ يوم الخميس، لأنه اليوم الذي تجتمع فيه العائلة غالبًا. كنَّ يأتين بعد صلاة العشاء، وهو الوقت الذي غالبًا لا يوجد فيه ضيوف أو زوار، كانت سعاد تفرح بقدومهن وتُعِدُّ الشاي والقهوة، حتى إنهن اعتدن على شاي سعاد وقهوتها التي كانت تضيف إليها



Twitter: @ketab_n

قليلاً من الهيل والزعفران.

اعتاد دخيل الله على تناوبهن بالزيارة والاعتناء به، وفي الوقت ذاته سماع أخبار العائلة من خلالهن، على الرغم من أنه كان يشجع سعاد على معرفة الأخبار ومتابعتها والتأكد منها لثقته بأنها تقول الحقيقة ولا تكذب أو تخفي عنه شيئًا مطلقًا، الأمر الذي جعل سعاد تشعر بمسئولية كبيرة، فبدأت تخاف أن يقول لها: «يبَّه دخيل الله، ليش ما قلتِ لي، أو لماذا لم أعرف ما حدث؟».

من تلك الأخبار: دخول سعد بن عليان السجن، حيث ذكرت أمه سبيكة لوالدها دخيل الله ذات مساء وهي تقوم بترتيب سريره، بأن سعد سافر إلى المدينة المنورة، وسيغيب فترة، وإن شاء الله يأتي بالسلامة، وبعد مغادرتها مباشرةً سأل دخيل الله سعاد عن أخيها سعد، وهل ما قالته أمها صحيح، حيث أجابت مباشرةً: لا يا «يبَّه» أنا سمعت أن سعد دخل السجن يوم جاء من أفغانستان.

كان دخيل الله يعلم أن بناته وأبناءه وأحفاده لا يرغبون مطلقًا في تعكير شيخوخته بالأخبار المزعجة، ولكنه في الوقت ذاته يرغب في معرفة الحقيقة، وكم تمنى كثيرًا أن تكون الحقيقة غير ما قالته سعاد، ولكن الأيام أثبتت صدق قولها، لا سيما وأن سعاد بدأت تسأل دخيل وأخواتها عن أي خبر تسمعه حتى تنقله إلى جدها الذي يستمع إليها بعيدًا عن الآخرين عندما تقدم له القهوة والتمر بعد صلاة الظهر.

محمد بن مانع الابن الثاني لمانع والأخ غير الشقيق لدخيل، والدته خضرة عبد الموجود تنتمي لإحدى الأسر المصرية الفقيرة، تزوجها مانع بعد أن أزيل رحم زوجته أمينة بعد الاشتباه بوجود ورم، وقد أنجبت له إضافةً إلى محمد وعبد الله ثلاث بنات.



Twitter: @ketab_n

كانت خضرة في البداية غير مرغوب بها من قِبَل معظم أفراد عائلة الضبادي، ولكنها استطاعت مع الزمن التكيُّف معهم، كان أبناؤها يسمون أولاد المصرية، الأمر الذي جعلها تحرص على أن يكون جميع أبنائها متفوقين دراسيًّا، وبالذات محمد ولد المصرية الكبير، فلم تمض سنوات حتى اجتاز الثانوية العامة بتقدير مرتفع، الأمر الذي دفعه لأن يلتحق بكلية الهندسة، كانت تتمنى أن يلتحق بكلية الطب حتى يُقال لها «أم الدكتور» ولكنها في الأخير قالت: «وماله أم المهندس؟ برضه حلو». استطاع أن يتخصص بهندسة البترول ليلتحق فيما بعد بأحد حقول النفط في شرق المملكة، مما جعله يقطن بعيدًا عن عائلته وبالذات أمه التي كانت تحلم أن يتزوج ويسكن قريبًا منها في الرياض.

بعد فترة بسيطة من عمله فوجئت بخبر نَقَلَهُ لها زوجها مانع وهو يكاد يبكي، كان يقول:

«ولدنا، الله يخلف، راح».

لم تدرِ هل تبكي أم تصرخ أم تذهب إليه! هو لم يمت، ولكن ابتعد كثيرًا عن العائلة.

أضاف مانع قائلاً: «لقد تزوج أخت صديق له من أهل القطيف».

تهاوت أحلامها بعودته إلى الرياض، حرص مانع أن لا يصل الخبر إلى والده المقعد مجردًا، وعندما سأله والده بصوته الواهي عن صحة زواج محمد قال له: «إيه، تزوج بنت أحد حمايل المنطقة الشرقية. الخبر وصل إلى الجد دخيل الله مباشرة من سعاد التي قالت له أن محمد أخا زوجها دخيّل تزوج شيعية.

محمد لم يأبه بغضب الجميع، لقد اقتنع بالفتاة وعائلتها، وهي أولاً وأخيرًا مسلمة، كان أشد الغاضبين عليه بسبب زواجه أخته



Twitter: @ketab_n

خديجة، حيث بدأت ترسل له عبر البريد الإلكتروني العديد من الفتاوى والتقارير عن الشيعة، أو كما يسمونهم الرافضة، وكان يقوم بحذفها مباشرة بمجرد فتحها، وأحيانًا قبل ذلك عندما يلاحظ أن الرسالة منها، في الوقت الذي بدأ يرسل رسائل تحث على عدم التطرف واحترام الرأي الآخر. عمله وزواجه ساعدا كثيرًا على أن تكون علاقته بعائلته فقط في المناسبات.

المرارة التي ذاقتها أم محمد المصرية خضرة، والخوف من أن يضيع ابنها الثاني عبد الله ويختار امرأة قد لا ترضى بها جعلها تطلب من مانع أن يزور أخاه عاشق ليطلب يد ابنته رحاب لولدهم عبد الله.

عبد الله اختار منطقة الوسط بين أخويه دخيّل ومحمد، حيث لم يترك الدراسة قبل المرحلة الثانوية كأخيه دخيل، ولم يكمل دراسته الجامعية كأخيه محمد، حيث اكتفى بدبلوم إلكترونيات من كلية التقنية، وساعده أحمد شريف زوج فطيمة ابنة عمه الدكتور نوح على العمل في الشركة التي يديرها، وهذا على رأي والدته بداية الاستقرار الذي لن يكتمل إلا بزواجه من رحاب ابنة عمه عاشق الذي لا يمتلك مطلقًا الرأي في مصير أبنائه.

كان الرأي الأول والأخير لأمها سويّر النسيجان التي أعلنتها صريحة بأنها لن تزوج ابنتها لأحد من عائلة الضبادي أو أنسبائهم.

وبذلك أغلقت الطريق أمام الجميع حتى تنقى أسرتها من شوائب لحقت بهم بسبب زواجها من عاشق، وفق رأيها ونصيحة أخويها.

هذا الخبر أوصلته سعاد ذات ظهيرة لجدها دخيل الله، حيث قالت له: «مانع طلب يد رحاب وسويّر قالت ما نبي نزوج بنتنا لأحد من العائلة».



Twitter: @ketab_n

ابتسم دخيل الله عند سماعه الخبر وانتظر الصيغة الثانية له من مانـع وعاشـق عندمـا يسـألهما عـن عبـد اللـه ورحاب،وهذا ما حدث عندما قال مانع: «عبد الله لا يريد أن يتزوج من الأقارب».

وأما عاشق فقال: «رحاب مشغولة بدراستها ولـم تفكر بالزواج، وسويّر تتمنى لو أن ابنتها تتزوج من العائلة».



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**بعيدًا طارت الحمامةُ**

**لتبحثَ عن عش**

**لتبحثَ عن حياةٍ**

**أو فناءٍ**

## (13)

حادثة رفض سويّر النسيجان أن تتزوج ابنتها رحاب بنت عاشق من عبد الله بن مانع تسببت بشبه قطيعة بين الأخوين، الأمر الذي جعل مانع يردد مقولة والده الشهيرة عن أخيه بأن اسمه «عاشق سويّر»، مما جعل سويّر تبحث عن مسمى لمانع، لتطلق عليه «الدلال»، وفقًا لعمله بسوق الزل والبشوت، وقد كانت تتمنى لو أسمته «الطبَّال» لأنه تـزوج مصريـة «فهـي راقصـة وهـو طبال»، ولكن رأت أنه من الأفضل



Twitter: @ketab_n

عـدم إطـلاق المسـمى؛ فزوجتـه خضـرة بعيـدة كل البعـد عن الرقص ومانع لا يتقن مطلقًا الإمساك بالطبل.

كانـت حمـدة تراقـب مـن بعيـد ذلـك الخـلاف، وتنـتظر الوقت المناسـب للتدخُّـل، بالطبـع كانـت مملوءةً حقدًا وحسـدًا على سـويّر لـذا فقـد بـدأت تحكـي لأختها أمينة وضرتهـا المصرية خضرة قصصًا اختلقتها عن سويّر، منها أن هنالك أناسًا شاهدوها مع ابنتها بالمايوه علـى شـاطئ برايتـون فـي بريطانيـا الصيف الماضـي، وقد كررت هذا الخبـر عندمـا حضـرت خديجـة ابنة مانع من أمينة، التي قالت لخالتها حمـدة: أتمنـى أن تتأكـدي مـن هـذا الخبـر لأن فيه خروجًا عن الملَّة، وقـد ردت عليهـا حمـدة بـأن من شـاهدهما ثقـة، وأضافت أن زوجها عاشق كان يراقب زوجته وابنته وهما شبه عراة وهو يحتسي الخمر، عندها علقت خديجة قائلة: «عمي عاشق يشرب الخمر أم الخبائث! لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!».

ممـا جعـل خضـرة تقـول وهـي فـي حالـة ذهـول: «ربنـا أكرمنا برفضهـم، وإلا يـا عينـي علـى ولـدي عبـد اللـه، هيبقـى زوج السـت وهيطلع له قرون».

اقترحت حمدة على خضرة أن تطلب عبير ابنة منيرة بنت عليان، ونفـذ الاقتـراح مباشـرةً عندمـا ذهـب مانع إلى محسـن الصخري «أبو صخر» وشـريك راشـد في العقار الذي يسـمونه «أبو صخر» رغم أن ابنه حول اسمه من صخر إلى عبد العزيز.

كان حفـل زواج عبد اللـه بـن مانـع كبيـرًا حضـره الجميـع عدا عاشـق وعائلتـه، سـعاد أخبـرت جدهـا بكل تفاصيل الـزواج وبالذات غياب عمها عاشـق وعائلته الذين غادروا إلى المنطقة الشـرقية خوفًا



Twitter: @ketab_n

مـن تدخُّـل عليـان أو نـوح ومحاولتهمـا الإصلاح، على الرغم من أن مانع لم يرسل بطاقات دعوة لأسرة عاشق.

محمـد بـن مانـع وجدهـا فرصـة لأن يحضـر الـزواج مع زوجته القطيفية، وقبل الحفل زار جده دخيل الله مصطحبًا زوجته التي كانت متخوفةً من ردة فعل الجد، ولكنها ارتاحت عندما قابلت سعاد التي قالـت لهـا بعـد أن رحبـت بهـا كثيرًا: «يبَّه مـا زعل من زواجكم ودعا لكم بالتوفيق».

وعندما قابل أخاه دخيّل في مركازه المعهود بالقرب من حظيرة الحمام قال له: «انتبه لزوجتك سعاد، تراها نقية، لا تتلوث».

لم يفهم دخيل بالضبط ما قاله أخوه، وطمأن نفسه بأن أخاه يعني أن زوجته ليس بها شر، ولا تحب المشاكل.

لم يشعر الدكتور نوح بالفرح كثيرًا وهو يحضر حفل زواج عبد الله ابن أخيه مانع من عبير حفيدة أخته سبيكة، ليس بسبب غياب عاشق وأسـرته، بل بسـبب التقرير الطبي الذي تلقاه ذلك اليوم بوجود ورم سرطاني في جسد زوجته، كان يفكر كيف سيبلغها ويبلغ ابنته فطيمة بالخبر، لا سيما أن الورم منتشر بصورة تحتاج إلى قرار سريع لنقلها إلى أحد مستشفيات هيوستن بالولايات المتحدة الأمريكية. ساعد على سرعة إنجاز الإجراءات جنسيتها الأمريكية الأصل.

طلبت «سيتا» توديع والد زوجها دخيل الله، كان لديها إحساس بأنهـا لـن تـراه مـرة أخـرى. أخبـر الدكتـور نوح والده أنه سـيذهب مع زوجتـه لزيـارة أهلهـا فـي أمريكا وسـيعودون بعد مدة، سـعاد أخبرت جدها بأن زوجة خالها نوح مصابة «بالمرض الشين» وقد ذهبت إلى أمريكا للعلاج.


Twitter: @ketab_n

*Twitter: @ketab_n*

**هل ناحت الحمامةُ**

**هل بكتْ**

**هل صوتُها شجن؟**

**أم صوتُها سجن؟**

## (14)

لم يتوقع دخيل الله أن تكون هذه الأخبار التي بدأ يتلقاها بصفة شبه يومية من سعاد تتسبب له بشيء من الاكتئاب، كان يتمنى أن يسمع ما يسره وينفس عن وحدته وكربته، ولكن ماذا يفعل! سعاد تخبره بآخر أخبار الخلاف الشديد بين ابنه الكبير مانع ومعه زوجتاه وحفيده راشد وزوجته حمدة من جانب، وابنه عاشق وزوجته سويّر من جانب آخر، وتخبره أيضًا بخلاف زوجها دخيّل مع ابن عمته وأخيها



Twitter: @ketab_n

في الوقت ذاته راشد، وتخبره عن غضب عدد من أبناء وبنات أسرة الضبادي، وعلى رأسهم أخوها سعد وخديجة أخت زوجها على محمد الذي تزوج شيعية، وعندما تنتهي أخبار آل الضبادي تكون قد تابعت بعض نشرات الأخبار التي تبثها بعض القنوات الفضائية العربية وتخبره مباشرةً بما يحدث في الوطن العربي، من حصار ثم غزو للعراق ومن إبادة للشعب الفلسطيني، ومنها استشهاد محمد الدرة، الأخبار كثيرة، والوطـن العربـي سـلة مملـوءة بالكآبـة. أمور كثيـرة تغيرت بعد موت زوجته فطيمة التي لفظت أنفاسها الأخيرة في الوقت الذي تهاوى فيه برجا التجارة في نيويورك، أيام طويلة مرت لم يسمع فيه صوت الطبل داخـل البيـت، ربمـا كسـر هديـل حمام دخيّل ذلـك الصمت الرهيب، ولكن من المؤكد أن ملايين الحمام لن تبث السلام سواء في العالم أو في أسرة الضبادي.

دخيل الله أدمن سماع الأخبار التي تبثها سعاد، بينما لاحظ كل من مانع وعليان ميله في الفترة الأخيرة للصمت، إضافةً إلى سـرعة غضبه بصورة لم تكن معهودةً من قبل، ورغبته البقاء وحيدًا أو بصُحبة سـعاد فقط، هما يريدان أن لا يسـمع ما يعكر صفوه في آخر عمره، طلب مانع من سـعاد أن لا تخبر جدها عما تسـمعه من أخبار سـيئة، ولكنها أعطت «يبَّه» عهدًا بأن تقول له كل شيء، وتفكيرها المحدود لا يمكّنها من فرز ما هو سـيئ مما هو جيد، هذه الحياة تراها بعين الحقيقة المجردة، لم تعرف مطلقًا أن أغلب الناس ينظرون إلى الحياة بمناظير متعددة، وأحيانًا يرون ما يعكسه داخلهم في هذه الحياة، ثمة بياض شاسع في داخل سعاد، بينما تتفاوت كل الألوان في داخل من يحيـط بهـا، حتـى والدهـا عليـان ووالد زوجها وخالها في الوقت ذاته



Twitter: @ketab_n

مانع. وها هي تبث ذلك البياض وشاحًا على جسد جدها، أو كما تسميه ويسميه الجميع «يبَّه»، ولا تعلم أن ذلك البياض سيتحول إلى قطع داكنة كسواد الليل في أعماق دخيل الله، مما يتسبب في اكتئابه وتوتره، الأمر الذي لا يغيب مطلقًا عن مانع وعليان، ذلك السواد أدى فيما بعد إلى دخوله في مرحلة شبه الغيبوبة أو البين بين، بعد جلطة بسيطة ألمَّت به، حينها بدأت فكرة تغيير البيت والانتقال إلى بيت أحد الأبناء، أو البحث له عن ممرض أو زوجة، لكن وبكل تأكيد الأمر المهم هو قرب انتهاء زمن بيت الصالحية، وهذا إنذار لدخيّل بالبحث عن سكن بديل ينتقل إليه مع زوجته سعاد وأبنائه، لا سيما وأن حالته المادية تحسنت قليلاً بدعم أسراب الحمام التي تتكاثر في الحظيرة التي أقام بجانبها مركازًا يبتعد به عن صخب أسرة الضبادي.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**كم هو واهٍ هذا العشُّ!**
**عشٌّ قد لا يصلحُ للعيشِ**
**عشٌّ قد لا يعيشُ**

## (15)

شعر دخيّل أنه المتضرر الوحيد مع أسرته الصغيرة إذا تم الانتقال من البيت ببيعه أو تأجيره، فهو يسكن مع زوجته وأطفاله الثلاثة مع جدهم دخيل الله، وقد اعتاد كثيرًا على البيت، وثمة ذكريات كثيرة وجميلة في هذا البيت أكثرها مع «يمَّه فطيمة»، إضافةً إلى أنه لا يستطيع الاستغناء عن حظيرة الحمام والمركاز، وأغلب أصدقائه الجدد يعرفون هذا البيت، وقبل كل ذلك وبعده يعرف نفسه بأنه غير قادر على شراء بيت.



Twitter: @ketab_n

المشكلة الأخرى هي وجود امرأة غير سعاد في هذا البيت، وإن كانت زوجة لجده، بكل تأكيد سيؤثر هذا على حياته وحريته، فمن المحتمل أنها ستطالب بإزالة حظيرة الحمام، وسيفقد مجلسه الخاص، وأهم من ذلك لن تكون له حرية استقبال الزبائن أو الأصدقاء.

حاول أن يرفض، ولكن كان صوته واهيًا أمام آراء بعض الرجال في الأسرة، وبالذات والده مانع وعمه عليان، وأصابه الرعب عندما رأى ما ألمَّ بجده، لذا لم يفارقه منذ سقوطه أمام الجميع وحمله بسيارة الإسعاف، حتى عودته إلى المنزل محمولاً ليوضع على سرير طبي أحضره عمه عاشق مع ممرض شرق آسيوي، ليقوم برعايته وإعطائه الطعام والشراب كطفل في سنته الأولى، وعندما شعر دخيل أن هنالك بقية من عمر لجده لم تنقض بعد بدأ تدريجيًّا العودة إلى حياته التي اعتاد عليها قبل الاجتماع.

كلمات قليلة افتقدتها سعاد بعد عودة جدها محمولاً من المستشفى، تلك الكلمات كانت تبث فيها طاقة خاصة تشعرها بالحياة، حتى «الحمد لله» لم يقدر أن ينطق بها دخيل الله عندما جلست سعاد بقربه لتسأله «ويش لونك اليوم؟»، فاجأتها تلك النظرة من عيني جدها، قالت: خفت عليك، ما أبيك تموت يبَّه، من يستمع إليَّ بعدك؟

أغمض عينيه قليلاً ثم فتحهما، لم يكن في مجلس الرجال الكبير سواهما، بدأت تتحدث عن ذلك اللقاء، وكيف أن الجميع توقعوا موته، حدَّثته عن شجار حدث بين بعض بنات أبنائه بسبب لبس البنطال، والجدل حول حرمته، حدثته عن أخيها سعد الذي خرج من السجن قبل اللقاء بأسبوع بعد أن وقَّع تعهُّدًا،حدثته عن سويّر التي طلبت من عاشق أن يعارض كل قرار أو رأي يقدمه مانع، حدثته عن



Twitter: @ketab_n

اتساع نفوذ حمدة على نساء العائلة، كان لديها الكثير من الكلام تحدّث به عيني جدها دخيل الله المحتقنتين بالدمع، أرادت أن تتحدث عما سمعته من أخبار لولا دخول الممرض الشرق آسيوي جالبًا معه فوطًا صحيةً لتعذُّر قيام دخيل الله لدورة المياه.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

زغبٌ أم ريشٌ؟

جناحٌ أم قدمٌ؟

لتركضَ، لتطيرَ

لتنبتَ كل المساميرِ

## (16)

للحمام فضل كبير على دخيّل في التعرُّف على عدد من الناس ممن يمتلك تجربة حياتية خاصة، ربما يكون «أبو عطا» من أهم أولئك الناس، العلاقة بين دخيّل بن مانع وأبو عطا تجاوزت حدود بيع وشراء الحمام إلي صداقة خاصة جعلت دخيّل يبوح لأبي عطا بهمومه الخاصة التي من أهمها حالة جده الصحية، وسكنه في بيت في أي لحظة قد يطلب منه مغادرته، وبالذات بعد وفاة جده، فهو



Twitter: @ketab_n

مجرد ساكن مؤقت، ولا أحد سيرأف بحاله مع زوجته وأبنائه، إضافةً إلى أن المشكلات المتفاقمة في الأسرة ستعجل بتوزيع إرث جده بعد وفاته، ومن ضمنه بكل تأكيد بيت الصالحية.

- هل هنالك من هو محتاج في أسرتك؟ سأله أبو عطا.
- أنا أكثرهم احتياجًا.
- لماذا لا يتنازل جدك لك عن البيت؟
- هو لا يشعر الآن فكيف يتنازل.
- الأمر بسيط ولكن يحتاج إلى مغامرة.
- أنا مستعد لهذه المغامرة، ولكن كيف؟

الإجابة عن سؤال دخيّل لم تكن مطلقًا بتلك السهولة، وأبو عطا لديه خطة لتنفيذ مغامرة قد تغير حياة دخيّل، أسرة الضبادي لا يعنيها مطلقًا دخيل ولا زوجته ولا أبناؤه، كل فرد من الأسرة يريد أن يلغي ذلك الرابط بينهم والذي يتمحور ببيت الصالحية، حتى والده رضخ لسلطة الزوجتين، وزوج عمته عليان الذي أصبح خالاً له أو عمًّا وفق أعراف المجتمع بعد زواجه من ابنته سعاد، قد يكون منحازًا لابنه راشد، ودخيّل على خلاف كبير معه، لذا لا يعنيه مطلقًا بقاؤه أو مغادرته بيت الصالحية، وها هو «أبو عطا» يرمي له طوق النجاة من التشرُّد. هي مغامرة كما قال وتنفيذها يحتاج إلى الحصول على ختم المحل الذي كان جده دخيل الله ثم والده مانع يستخدماه لإجراءات المحل النظامية، إضافةً إلى إتقان توقيع دخيل الله ووضع بصمته أسفل ورقة التنازل.

خبرة «أبو عطا» ساعدت دخيّل كثيرًا، الذي أوضح له أنه سيقوم بتزوير ورقة تُفيد بتنازُل الجد دخيل الله لحفيده عن بيت الصالحية،



Twitter: @ketab_n

وتاريخ التنازل مهم جدًّا، لا سيما وأن مانع كان ملازمًا لوالده منذ سنوات طويلة، ويعرف كل قرار يتخذه والده،لم يكن القرار هينًا لدى دخيّل، لا بُد أن يجعل حياته شريطًا يمر أمام عينيه، هو يعرف أنه من النادر أن يغادر والده مانع الرياض، وفي السنوات الأخيرة لم يكن الجد دخيل الله يذهب إلى محل الزل إلا نادرًا، وذلك عندما يشعر بالاكتئاب أو يفكر أن يلتقي بأحد وهو لا يرغب أن يقابله في بيته، حالة الاسترجاع والتذكُّر لم تطُل لأن دخيل لم يرتبط بمحل الزل بصورة يومية إلا في الفترة التي غادر فيها والده مانع مع عمه عليان مع عائلتيهما إلى الحج، كان ذلك بعد زواجه بعام، كان الجد حريص على أن يذهب بصورة يومية للمحل، فربما هنالك من يرغب شراء بشت أو قطعة زل أو سجاد فاخر، أغلق دخيّل دكان زينة السيارات في دوار الخرج، وتفرغ لبيع وشراء البشوت والزل مع جده.

والده طلب منه تسجيل ما يبيعه على ورق خاص بالمحل، أعطاه مجموعة من الأوراق، تذكر أنه لا يزال يحتفظ ببعضها، تذكر تمامًا التاريخ واختار يومًا أغلقت فيه جميع المؤسسات الحكومية، أحضر ورقة من تلك الأوراق كُتِبَ عليها في الجانب الأيسر دخيل الله الضبادي وأولاده، سوق الزل.

أعطاها لصديقه «أبو عطا» الذي كتب عليها التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أقرُّ أنا دخيل الله الضبادي، الموقع أدناه، وأنا بكامل قواي العقلية، أنني قد تنازلت عن بيتي الكائن بحي الصالحية لحفيدي/ دخيّل بن مانع بن دخيل الله الضبادي، وحفيدتي/ سعاد بنت عليان



Twitter: @ketab_n

بن رزق الله الضبادي. وبذلك يكون البيت لهما ملكًا حلالاً، وليس لهما حق التصرف في بيعه أو هدمه وبناء منزل جديد مكانه إلا بعد وفاتي ووفاة زوجتي فطيمة أو موافقتها على ما يقررانه بعد وفاتي، وبذلك لا يحق لأحد من أبنائي أو بناتي المطالبة بحقه في هذا البيت.

واللهُ خيرُ شاهدٍ.

وقد سجَّل اسمي شاهدين ممن كانوا يترددون على محل الزل آنذاك، وعلاقتهما بجده دخيل الله جيدة، وقد حرص أن يكون الشاهدان ممن انتقلوا إلى رحمة الله، بحيث لا يبحث أحد عنهما ليتأكد من التنازل. وقد أتقن توقيع دخيل الله ووضعه أسفل اسمه، وطلب من دخيّل الحصول على ختم المحل، إضافةً إلى بصمة جده، مع وعد بأن يكون الأمر سرًّا بينهما.

كان الرعب يسكن أعماق دخيّل خوفًا من أن ينكشف أمره، إضافةً إلى أن الحصول على الختم والبصمة ليس بالأمر الهين، بقيت الورقة فترة من الزمن لديه حتى جاءت فرصة مرض فيها والده مانع، مما جعله يبقى بالبيت، ليذهب دخيل إلى المحل ويختم على الورقة بعدما طلب من العامل البنغالي إحضار كأس شاي من محل مرطبات يقع في الشارع المقابل للسوق، ومن حظ دخيل أن العامل أبقى المفاتيح على أدراج صغيرة يحفظ بها فواتير المحل، مما جعله يحصل على الختم ويختم أسفل الورقة ويعيده إلى مكانه.

في المساء وأثناء زيارة دخيل لوالده للاطمئنان عليه باغته والده مانع بسؤاله: يقول العامل أنك جئت هذا الصباح للمحل، خير ماذا لديك؟

توقع دخيّل ذلك السؤال لذا فقد أجابه: يوجد رجل لديه ببغاء



Twitter: @ketab_n

نادر يريد أن يبيعه، لم أجد أفضل من المحل لمواعدته.

- هل جاء؟

- للأسف، لا، انتظرته، وأخبرته بذلك، ولكن اكتشفت أن هنالك من دفع له مبلغًا جيدًا وحصل على الطائر.

صدق الوالد الخبر، وخرج دخيّل من دائرة شك الختم.

بقيت مشكلة أخرى، وهي أخذ بصمة الجد وإزالة الحبر الذي سيكون علامة واضحة على الإصبع بعد الاستخدام، المشكلة الأكبر هي أنه من الصعوبة أن يكون جده وحيدًا في مجلس الرجال الكبير، ففي حالة عدم وجود أحد أعمامه أو عماته أو والده، فمن المؤكد سيجد سعاد جالسة تتحدث عنده، ولو أخذ بصمته أمامها، فسيعرف الجميع بالأمر، فهي بقدراتها التفكيرية المحدودة لا تعي أهمية أن يكون هذا البيت خاصًا بها مع زوجها وأبنائها، وقبل كل ذلك وبعده هي لا تعرف الكذب أو الخداع، فكيف إذا كان الأمر فيه نصب وحصول على البيت بتزوير وتزييف، لذا لا بُد أن تكون خارج البيت ليقوم بفعلته، وبعد ذلك تبقى مشكلة ذلك الممرض الشرق آسيوي، فبحكم عمله لا يترك جده وحيدًا مطلقًا، لذا فقد اتفق مع صديقه «أبو عطا» أن ينتحل صفة رجل دين جاء للقراءة على جده، حينها طلب من الممرض المكوث خارج البيت حتى انتهاء القراءة، في الوقت الذي كانت فيه زوجته سعاد خارج المنزل في زيارة لوالدتها.

كان دخيل الله ممددًا على فراشه، شبه نائم وعندما فتح عينيه، وجد قرب سريره دخيّل ورجلاً ذا هيئة غريبة، توجَّس منه خوفًا لذا أراد أن يصرخ، ولكن لم يستطع، سمع دخيّل يقول له وهو يمسك بإبهامه: «سامحني يا يبَّه، هذي ورقة تنازلك عن البيت لي ولزوجتي



Twitter: @ketab_n

سعاد، بس أبيك تبصم».

لم يكن دخيل الله لديه القدرة على الصراخ أو سحب يده أو الاحتجاج، توسَّعت حدقتا عينيه، ثم أغمضهما، لم يرد أن يشاهد الورقة، وكم تمنى، أن تكون لديه قدرة منع صوتي دخيّل والرجل الذي معه لكي يريح جسده من سماع ما يعكر عليه تلك القطرات الباقية من حياته!

سمع دخيّل يقول لصاحبه: «هل اختفت آثار الحبر من الإبهام؟».

ليرد عليه الرجل: «انتهينا، لا آثار ولا رائحة، انتبه للورقة، أنت تملك البيت الآن، أخبر زوجتك بذلك، ستكون سعيدة».

سمع دخيل يجيبه: «صعب أن أخبرها الآن».

ابتعد الصوتان بينما كانت تضج في أعماق دخيل الله كل الدعوات وكل اللعنات على ذلك الرجل، الذي أمسك بيد دخيّل ليسلك طريقًا شائكًا بدأه بالنصب على رجل أحبه مع زوجته كثيرًا، تمنى أن يصرخ في وجه ذلك الرجل أو يطلق لعنته التي ألفها البعض: «عساك للساحق والماحق والبلاء المتلاحق الذي يسحقك ويمحقك ووين ما تروح يلحقك».



Twitter: @ketab_n

**بعضُ الكلامِ للجميعِ**

**بعضُ الطَّعامِ للجميعِ**

**كلامٌ قد يُغني عن الطعامِ**

## (17)

تربية وبيع وشراء الحمام منحت دخيّل بعض الخبرة في التعامل مع الآخرين، على عكس محل مستلزمات زينة السيارات الذي تقبله إبان تصفية اليمنيين بعد غزو صدام للكويت، لذا فقد قرر أن يقوم بحفظ وثيقة تملك البيت في مكان آمن بعد تصويرها عدة صور، منتظرًا مجيء والده مع عمه عليان ليفاتحهما بالأمر. بالطبع الأمر ليس بالسهل مطلقًا ودخيل الله لا يمتلك ثروة كبيرة فكل ما لديه هو بيت الصالحية ومبلغ بسيط من المال لقاء بيع حصته من دكان الزل



Twitter: @ketab_n

بالديرة لابنه مانع بشـهادة جميع رجال أسـرة الضبادي وأمام أعينهم، لذا فبعد انتقال ملكية البيت وفق تلك الوثيقة إلى دخيّل وسـعاد لن يكون لديه ما يورثه إلا بضعة آلاف من الريالات حفظها له مانع في أحد البنوك المحلية.

أحضر دخيّل صورتين من الوثيقة منتظرًا قدوم والده مانع وعمه عليان، استقبلهما، كانا قد أديا صلاة الظهر في المسـجد القريب من البيت، أحضرت سعاد كعادتها القهوة والتمر، طلب منها دخيّل الذهاب للداخل لإعداد الطعام، كان الممرض الشـرق آسـيوي خارج المنزل كعادته في الأوقات التي يعرف فيها أن سعاد تجلس عند جدها، بينما كان الجد يغط في سبات عميق. استغربا وجود دخيّل في ذلك الوقت؛ حيث إنه غالبًا يكون خارج المنزل، ولكن بادرهما دخيّل بسؤاله: هل بقائي في هذا البيت متوقف على حياة جدي؟

- تعرف أن البيت ليس لي ولا لعمتك سـبيكة، من المؤكد أن أعمامـك وعماتـك كل منهـم سـيطالب بحِصَّتـه من قيمة البيت. «كان ذلك رد مانع».

حينها قاطعه عليان:

- لا تستعجل الأمور، الله يحسن خاتمة أبونا دخيل الله، ويوم يسترد الله أمانته، يكون لكل حادث حديث.

- وهل تضمنون كلاً من أعمامي وعماتي أن يُبقونا يومًا واحدًا في ذلك الوقت؟

- للأسف الخلافات كبيرة، بالذات عمك عاشق، الله يهديه.

- وهل ترضيان أن يكون البيت هذا لي أنا وسعاد؟

- أنا أتمنى الخير لك ولابنتي سعاد، ولكن كيف يكون ملككما؟



Twitter: @ketab_n

- هو كذلك، لقد تنازل جدي لنا عن هذا البيت.

- معقولة؟ لم يخبرني مطلقًا بهذا الأمر، لا سيما وأنا ابنه الكبير وأعرف جميع أسراره.

- القضية ليست مجرد كلام. هل عندك ما يثبت هذا التنازل؟

عندها أخرج صورتي العقد وأعطى كل واحد منهما صورة، قرآها أكثر من مرة، وتأكدا من صحة الختم والتوقيع والبصمة، واطلعا على اسمي الشاهدين، مانع تذكرهما، كانا من الذين يترددون على المحل بصورة شبه يومية، تذكر أن أحدهما مات منذ بضع سنوات والآخر منذ عدة أشهر، إضافةً إلى أن دخيّل أخبر والده بالزمن الذي كتبت فيه تلك الوثيقة والتي كانت في شهر ذي الحجة بعد زواجه بعام، حين ذهبت أسرتا مانع وعليان للحج، في حين بقي دخيّل وسعاد عند جدهما دخيل الله وجدتهما فطيمة، وقد كان الأمر قريبًا للتصديق، لا سيما أن دخيل الله قد طلب من حفيديه السكن في ذلك البيت، وهذا أمر مخالف لما عُرِفَ عنه من عدم رغبته أن يسكن معه أحد من أبنائه أو بناته أو أحفاده بعد زواجهم.

تمنى مانع أن يرجع والده لحالته الطبيعية ولو لدقائق معدودة ويخبره إن كانت تلك الوثيقة صحيحة أو غير صحيحة! هو يعرف أن ولده دخيّل أرعن ولكن لا يعرف السرقة أو النصب، بينما سأل عليان ابنته سعاد عن جدها وهل صرح هو أو جدتها فطيمة بالتنازل عن البيت لهما، فكان جوابها بالنفي وأنها لا تعرف شيئًا عن الموضوع، إضافةً إلى أن جدها لم يتحدث معها مطلقًا عن البيت أو سكنهما، عندها عاد إلى المجلس. ليبادر دخيّل بسؤاله: التنازل هذا له أكثر من ثلاث عشرة سنة، لماذا لم تخبر به أحدًا بالذات أنا أو أبوك مانع،



Twitter: @ketab_n

نحن نفرح لك أنت وابنتي سعاد؟

- كنت سأخبر الجميع حينها، ولكن، كانت رغبة جدي عدم إخبار أحد إلا بعد وفاته، وللأسف أنا الآن لم أحقق وصيته، وها أنا أخبركما، أخذ مانع وعليان صورتي الوثيقة وغادرا البيت بينما كان دخيل الله يغط في سبات عميق، عندها جاءت سعاد وكانت دمعة تترقرق من عينها قائلة لدخيّل: «يبون يطلعوننا من هذا البيت، يبَّه إن شاء الله طيب».

رد عليها دخيّل وهو مبتسم: لن يخرجنا أحد من هذا البيت، يبَّه هو اللي خلانا نسكن هنا ولن نخرج إلا بأمر يبَّه».

لم تع سعاد الأمر تمامًا، وتمنت أن يفتح جدها عينيه لتتحدث قليلاً معه وتخبره بمجيء والدها وخالها ولقائهما بزوجها وسؤال والدها عن البيت، والفرح المرتسم على عيني دخيّل، بقي الجد في سباته العميق، بينما غادرت الغرفة ليتمكن الممرض الشرق آسيوي من تغيير هيئة نومه من الاستلقاء على الظهر إلى الجانب الأيمن؛ حتى لا يُصاب بالحرق ومن ثم التقرُّح جراء بقائه الطويل والأبدي على السرير.



Twitter: @ketab_n

**لها**

**لتلكَ الحمامةِ، رفعتُ يدي**

**حلّقي قريبًا**

**أنا المكانُ**

## (18)

فـي فتـرة سـابقة حـاول عاشـق أن يسـتبدل بيـت الصالحية بفيلا صغيرة في ظهرة البديعة غرب الرياض، مع إضافة بعض المال الذي يوزع بين أبنائه وبناته بالتساوي، لأنه أب الجميع أولاً، ولأن الفيلا التي اختارها تقع في حي بعض أهاليه غادروا الصالحية والعود والمرقب منذ سـنوات وفضلوا السـكنى هناك لذا فلن تتغير على والده دخيل الله البيئة مطلقًا، بل ستتحسـن فبدلاً من البيت الشـعبي سيسـكن في



Twitter: @ketab_n

فيلا صغيرة، وبدلاً من تلك الأزقة الضيقة والعشوائية سيكون الحي الذي سينتقل إليه أوسع وأرحب شوارع، والأمر الأكثر أهمية هو تغيُّر التركيبة السكانية لحي الصالحية بحيث أصبح غالبيتهم من الجاليات العربية وبالذات من السودانيين، ذلك الاقتراح لقي رضا من الغالبية باستثناء مانع وعليان ودخيّل الذي هدد وتوعد طالبًا عدم بيع البيت والانتقال منه، لعدة أسباب أهمها قربه من المحل الذي يبيع فيه مستلزمات زينة السيارات في دوار الخرج، ولوجود حظيرة الحمام في سطح المنزل.

كان عاشق يعلم أن دخيّل أرعن، وقد ينفّذ تهديده، بينما كان رأي كل من عليان ومانع ووافقهما على ذلك الدكتور نوح أن تغيير المكان قد يؤثر على نفسية والدهما، لا سيما أنه على وضعه الحالي لا يغادر البيت مطلقًا، ولا يهمه من يسكن بالحي أو كيف يكون شكل المنزل.

فكرة تغيير المنزل لم تكن مبادرة من عاشق بقدر ما هي أمر من سويّر النسيجان بأن يطرح تلك الفكرة حتى يبتعدوا عن ذلك الحي القديم إلى حي أفضل وأرقى، وعندما أخبرها بما تم في ذلك اللقاء وتهديد دخيّل لزوجها، قالت: احذر من ذلك «العربجي مربي الحمام». عندها فكرت بالتضييق عليه وإبعاده عن الحي بأي وسيلة، حيث بدأت بالبحث عن صاحب المبنى الذي يوجد به محل دخيّل لبيع مستلزمات زينة السيارات لشرائه، ومن ثم إخلاء تلك الدكاكين بحجَّة تجديد المبنى، ولحسن حظ دخيّل بأن صاحب ذلك المبنى رفض بيعه مهما كان إغراء المبلغ المدفوع، وقد وصل ذلك الخبر لدخيّل عندما أخبره صاحب المحل المجاور له أن هناك امرأة تدعى سويّر أرادت شراء المبنى لتستثمره وأن صاحب المبنى رفض البيع، عندها



Twitter: @ketab_n

علم أن زوجة عمه عاشق لم تكن ترغب في شراء المبنى بقدر رغبتها في طرده من المحل الذي يقع في مكان مهم من المنطقة الصناعية القديمة، لم يخبر أحدًا بما حدث، وقد حرص في أول لقاء بعمه عاشق أن يعتذر له عما بدر منه ذلك اليوم، كان دخيّل يعلم أن نفوذ سويّر النسيجان قد قويَ، لا سيما وأن ابنة أخيها الكبير قد تزوجت ابن أحد كبار ضباط أمن الدولة، ويعلم أن ابن خالته سعد وشقيق زوجته قد تسبب في وضع دائرة حمراء حول أسرتهم، لذا فقد بقي مسالمًا وخائفًا أن يأتي زمن يرى فيه أنه بلا مأوى. ربما هذا الأمر من الأسباب الخفية التي جعلته يتشجَّع ويزوّر وثيقة ملكية البيت، وهو الآن وبعد امتلاكه لتلك الوثيقة يشعر بالطمأنينة، ولن يخاف من سويّر النسيجان ولا كافة عائلتها مهما عليت منزلتهم وتوسَّع نفوذهم في المجتمع والدولة.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**ضوءٌ يلوحُ من بعيدٍ**

**وجهُك، ربما**

**وجهُك فقط**

## (19)

مانع وعليان يعلمان أن قيمة بيت الصالحية لا تساوي شيئًا أمام ثروة عاشق وزوجته، وأن الدكتور نوح ليس بحاجة لذلك المبلغ الذي سيتقاسمه مع أخوين وثلاث أخوات، وقد تحتاج كل من سبيكة وحسناء ولولوة بعض المال، ولكن من المؤكد أن سبيكة ستفرح باستقرار ابنتها في بيتٍ تمتلك جزءًا منه، وربما وضع سعاد الذهني سيجعل كلا من حسناء ولولوة ترضيان بانتقال ملكية البيت لدخيّل وسعاد، لا سيما أن المبلغ الذي سيحصلان عليه ليس كبيرًا مطلقًا،



Twitter: @ketab_n

وبالذات في حي مثل الصالحية أغلب بيوته الشعبية لا تتجاوز قيمتها المئتي ألف ريال، ربما كان سؤال أغلبهم لماذا هذا التنازل، ولماذا لم يخبرهم به والدهم دخيل الله!

أبو عطا أشعر دخيّل بأهمية الهدوء والصبر، وأن المعارضة من انتقال ملكية البيت له ليس طمعًا بقيمته ولكن حسدًا، لأن جدهم دخيل الله اختاره وتنازل له مع زوجته، ليكون بيت الصالحية ملكًا لهما، وهذا يعني أن جده منحه هدية خاصة وفضَّله على جميع أسرة الضبادي، وهذا أيضًا من جانب آخر يدل على رضا الجد والجدة عليهما.

لا يخفى على دخيّل حرص جده عليه، ومعاملته الخاصة له، الأمر الذي جعله يتساءل لماذا لم يفكر أن يتنازل عن البيت، وهل كان لديه خطة للتنازل، ربما فكر بهذا الأمر ولكن موت زوجته المفاجئ جعلته يفقد الأمان. دخيّل أرعن لن يتوانى عن بيع البيت لو امتلكه، وعندها سيفقد دخيل الله الاستقرار إلى الأبد، وربما يكون مقره الأخير دور العجزة، ولكن هو لم يتنازل، ولن يتنازل، لقد طلب من حفيديه الإقامة في بيت الصالحية ليكون لدخيّل الفرصة لجمع المال، ومن ثم بناء بيت لأسرته.

الجدة ماتت والجد في حياة البين بين، لم يتنازل مطلقًا، والورقة وثيقة تنازل عليها توقيعه وختمه، ومُوقَّعة من قِبَل شاهدين لم يشهدا مطلقًا، هما الآن في دار البقاء بعد انعتاقهما من سؤال أسرة الضبادي عن صحة التنازل في دار الفناء.

القرار الذي اتخذه كل من مانع وعليان هو أن يجمعا رجال الأسرة في لقاء استثنائي ويخبراهم بأمر البيت.



Twitter: @ketab_n

علاقة مانع وعليان الجيدة جعلتهما يتفقان على تقسيم مهام اللقاء، ربما لو كان الأمر بيد مانع فقط لرفض عاشق الحضور، ولكن مساعدة عليان جعلت الجميع يوافق على الاجتماع، ليجتمع بعد مدة ليست بالقصيرة الإخوة الثلاثة، وأزواج البنات الثلاث، مع بعض أبنائهم، إضافة إلى أحمد شريف الذي جاء بصحبة الدكتور نوح الذي عاد وحيدًا من أمريكا بعد وفاة زوجته ودفنها هناك بناء على رغبتها.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**ماذا تبقَّى من كلامٍ**

**ماذا تحقَّق من سلامٍ**

**هل تُجيبُ الحمامةُ؟**

## (20)

الطريق بين دوار الخرج والبيت في حي الصالحية بالرياض لا يستغرق أكثر من عشر دقائق مشيًا على الأقدام، أزقة الحي وبيوته الشعبية شاهدة على حكايات أجيال من الناس تعاقبت على السكنى فيه حتى أصبح للعمالة الخارجية النصيب الأكبر.

لم يفكر مطلقًا أن يتأخر هذا المساء، هو ذاهب الآن إلى بيته أو ما يعرف الجميع بأنه بيت جده، سيقابل أغلب الرجال في عائلته، في مجلس الرجال الكبير، يجب أن يحضر هذا اللقاء. يعرف أن كثيرًا



Twitter: @ketab_n

ممن هم الآن في بيته، أو تحديدًا في بيت جده، لا يعترفون به مطلقًا، هو يعلم أنه يقبع في الهامش، ربما كهذا الحي، لن تكون الكلمة له بين أولئك الرجال مهما حاول، ولكن هو يثق بكل تأكيد أن الكلمة الأخيرة ستكون له، هكذا كان يفكر دخيّل وهو يدخل البيت الذي يقطنه مع جده وزوجته وأبنائه، وأزواج من الحمام يعتبرها أكثر حميميةً من بني البشر، يدخل بيتًا شُيّدَ منذ قرابة الثلاثين عامًا بالطوب والحجر، واشتمل على بضع غرف صغيرة، إضافةً إلى مجلس كبير خُصّصَ للرجال.

يدخل بريئًا مسلّمًا على الجميع مقبّلاً رأس جده ووالده.

يسمعهم يقولون:

- الله يحسن خاتمته.

- الوالد له حق الزيارة والاطمئنان على صحته.

- مشاغل الدنيا، وإلا من المفترض أن نجتمع كل مساء.

راقب جده المسجَّى على سرير في صدر المجلس، الذي لم يعلق على حديثهم مطلقًا، كان بصره شاخصًا إلى السماء.

جلس في الجانب الأيمن على مقربة من سرير جده، ساعد والده على وضع بضع مخدات خلف ظهر ذلك الجد، بحيث أصبح شبه جالس ومطل على الجميع، بدأ يراقب جده الذي جال بعينيه اللتين أضناهما المرض وأنهكتهما السنوات.

المجلس مكتظ برجال يعرفهم، ورجال مَلَّ من معرفتهم، وبعض الرجال الذين يتمنى لو تمكن أن يعرفهم أكثر، حفنة من الرجال كانوا منذ زمن يلتقون في هذا المجلس، يتحدثون، يتثاءبون، يتناولون القهوة، الشاي، يسعلون، يمسح بعضهم لحاهم بأيديهم المعروقة،


Twitter: @ketab_n

يسبحون، يهللون، يتحدثون، يقولون شعرًا، قصائد لشعراء معروفين، وقصائد لشعراء مجهولي الهوية، وقصائد لهم، وقصائد لم تكن مطلقًا لهم، مجموعة من الرجال لا يدري ماذا يريد منهم تمامًا، جاء بعضهم مرافقين لبعضهم، هذا البعض الذي تربط بينهم هذه العلاقة الأبدية، أب وابـن وعـم وابـن عـم وزوج ابنـة، ينتظر بعضهم نهاية اللقاء ليعود إلى حياته الخاصة، وينتظر البعض الآخر فرصة سانحة ليتحدث عن أمر يشغله، أو ليذكر مثالب البعض، أغلبهم يُكِنُّ العداء لأغلبهم، ومنهم من تتوقف علاقته بالأسرة على الرجل الجالس على سرير في صدر المجلس والذي عُرِفَ منذ زمن بعيد باسم «دخيل الله الضبادي»، ذلك الشاهد الصامت القابع على سرير بينهم، جميعهم يتبعونه، هم قطيع من الرجال يجمعهم لقب واحد، يمر من خلاله، ملامحهم متشابهة، يجتمعـون دائمًـا فـي (الأعراس) مرحبيـن بالمهنئين، ويجتمعون دائمًا فـي (المآتـم) مسـتقبلين المعزيـن، بعضهـم امتـداد له، وبعضهم امتداد لبعضهم.

عـمَّ اللغـط وتحـدَّث الجميـع عنه، قرَّرُوا البحث عن امرأة تكون زوجـة لـه يحـق لهـا أن تطلـع علـى عورتـه، ترعاه بقية أيامـه، وقرَّرُوا البحث عن مقر جميل لا يحمل ذكريات مثل ذلك البيت الذي يقطنه.

كان دخيّل يراقبهم بهدوء، يسـتغرب قراراتهم الارتجالية بشـأن جده، هو يعيش بأمان، وزوجته تعتني به، والمكان ليس بالسيّئ مطلقًا، أغلبهم ينتظر نهاية هذا الرجل، نهاية قد تكون حزينة للبعض، سيحزن دخيّل بكل تأكيد، فموت جده قد يكون موتًا له ولزوجته وأبنائه، هو لا يريـده أن يمـوت، ولا يريـد أيضًـا أن تتحسـن صحتـه فيصبح قادرًا على الكلام، لا يريد أن يعود إليه الوعي، ليبقى كما هو الآن، يجلس



Twitter: @ketab_n

حوله الرجال، يستمع إلى حديثهم فقط.

- حرصت كثيرًا على أن نلتقي هذا اليوم، لا ليحكي كل واحد قصة ويقول الآخر أبياتًا من الشعر ونتحدث عن همومنا وأمورنا كما يحدث دائمًا عندما نلتقي، ولكنَّ ثمة أمرًا مهمًّا، لقد شغلتنا الدنيا فلم نلتق منذ زمن دون أن يتخلَّف منَّا أحد، هذا والدنا دخيل الله، أتعرفون مقدار الوحدة التي يعاني منها؟

اشرأبَّت الأعناق لتتلقَّف كل كلمة يقولها مانع، الذي أكمل حديثه قائلاً:

- منذ أن انتقلت والدتنا إلى الرفيق الأعلى وبعد ذلك إصابته بالجلطة وهو صامت، أنتم تعلمون ذلك، وتعرفون أننا ذهبنا به إلى أطباء ومقرئين ولكن دون جدوى.

توقع دخيّل أن يقول والده ذلك الكلام ليجعله مدخلاً لتحديد مصير جده، وبصورة أدق تحديد مصيره، وعلاقته بكل أقربائه، لكنه فوجئ بتدخُّل عمه عاشق قائلاً:

- قال لي الطبيب أن والدي يحتاج إلى رعاية خاصة.

لم يعلق أحد على كلام عاشق الذي أكمل قائلاً:

- تعرفون أنني أحضرت ممرضًا للعناية بوالدي.

لم تطُل فترة الصمت بعد كلام عاشق، ليسمع الجميعُ نوح وهو يقول:

- والدنا يعاني من الوحدة، يحتاج إلى امرأة ترعاه وليس لممرض.

شعر دخيّل أن كل كلمة سيقولها عمه نوح مهمة، لذا التزم الصمت، ليكمل عمُّه الحديث، وفعلاً واصل حديثه حول أهمية المرأة



Twitter: @ketab_n

في حياة الرجل، وبالذات من هو في سن والده.

تداخل بالحديث عليان قائلاً:

- زوجتي أم راشد تتردد عليه يوميًّا لترعاه، وبقية أخواتها ونساؤكم يفعلن ذلك، وهذا أقل ما يقدّمنه لأب رعاهن وأحبهن.

عمَّ اللغط وتحدَّث الجميع عنه، قرَّروا البحث عن امرأة تكون زوجة له ترعاه بقية أيامه، وقرروا البحث عن مقر جميل لا يحمل ذكريات مثل ذلك البيت الذي يقطنه.

تمنى الجميع أن يتحدث، أن يقول ولو كلمة واحدة، فمنذ أيام العزاء بوفاة شريكة عمره فطيمة أصبح من النادر أن يتكلم، ومنذ وفاة تلك المرأة التي كانت تبث رُوح السعادة والفرح بين الجميع لم يجتمع في مجلس الرجال الكبير مثل هذا العدد من الرجال ممن له علاقة بدخيل الله الضبادي، انتظر الجميع أن يتحدث، ولكن لقد خانته الكلمات، فعمَّ الصمت المكان، الجميع يعلم أن هذه الحالة انتابته منذ فترة ليست بالقصيرة، ولكن لم تكن بعد وفاة زوجته، لذا فالأمر يعيه الجميع ويعرفون أن أبناءه وبناته حاولوا أن تتحسن حالته ويخرج من دائرة الاكتئاب التي يشعر بها بعرضه على بعض الأطباء والمقرئين، ولكن حالته تفاقمت، لم يعلم بعضهم أن ثمَّة أسبابًا كثيرةً سببت له حالة الصمت والاكتئاب هذه، بعضها يعلمها مانع ابنه الأكبر وعليان زوج ابنته الكبرى.

هذا دخيل الله العالم المغلق الميال كثيرًا للصمت يقبع على سرير أُعِدَّ له خصيصا في مجلس الرجال الكبير، بعد أن أنهكته السنوات الخمس والتسعون، وبعد فقدان شريكة حياته، وبعد أن شعر في ذلك الاجتماع أنه أصبح ثقيلاً على الجميع، أُصيبَ بجلطةٍ



Twitter: @ketab_n

أفقدته النطق، إضافةً إلى الحركة، وبقي السمع والبصر والقلب النابض الذي يؤكد للجميع أنه لا يزال حيًّا يعي ويعرف من يزوره، ويسمع ما يقوله كل واحد من زوَّاره له، هو على قيد الحياة فقط، قيد لا علاقة له بكل ما في هذه الحياة من فرح أو حزن، قيد يكبّل حركة كل المقربين له، لذا فقد كانت المبادرة من عاشق بتأمين ممرض من (شرق آسيا) ليقوم برعاية والده، لكونه ابنه الذي يهمّه أمره فها هو يقولها بفخر أنا عاشق بن دخيل الله الضبادي، وعلى الرغم من ذلك يلمح من نظرة أبيه بعض السخرية، شيء يشبه الصدى يتردد في أرجاء مجلس الرجال الكبير: «أنت عاشق سويّر».



Twitter: @ketab_n

**هو زمنٌ للبَشَرِ**

**أبرياءٌ أولئكَ البَشَرُ**

**حينَ يفقدونَ حرفَ الباءِ!**

## (21)

تدار القهوة ويزداد الجدل، لماذا يجتمع هؤلاء الرجال وبالذات في هذا المساء في هذا المجلس؟ وماذا لدى مانع؟

كان دخيّل بن مانع يراقبهم صامتًا ويتأمل وجوههم متسائلاً: هل يعرفون كل شيء عنه، وهل حقًّا هو لا يعني لهم شيئًا مطلقًا! حينها يضج في داخله السؤال: «ما الذي تريده من هؤلاء؟» ينقلب السؤال ليواجهه: «ما الذي يريدونه مني هؤلاء؟» يتأملهم، ها هم خمسة عشر رجلاً هو من ضمنهم يحيطون بجده.



Twitter: @ketab_n

قد يكون دخيّل أقربهم إلى جده دخيل الله الضبادي، فهو الابن الأكبر لمانع وزوج سعاد ابنة عليان وسبيكة الابنة الكبرى لهذا الجد، قد يكون جزءًا من هذا الجد، جزءًا من عالم خاص يرتبط به كثيرًا، يقترب منه ويبتعد كثيرًا في وقت واحد، هو وزوجته سعاد وذريته قرَّروا البقاء معه حين ابتعد الجميع عنه، هو الأول والأخير، هو الأقرب والأبعد، هو جزء من زمن أسرة دخيل الله الضبادي.

يتحدث هؤلاء الرجال عن أهمية الرعاية الصحية، يتحدثون عن الإحساس بالوحدة، بكل تأكيد دخيّل يعلم أن الأمر ليس كذلك بل هو أكبر، إنه أمر مرتبط به وبجدّه دخيل الله، وهي حكاية بدأت منذ زمن بعيد وقد لا تنتهي في لقاء عابر عند رجل أنهكته السنين والمرض.

دخيل الله الضبادي أمامهم الآن، شاهد الصَّمت الأزلي، لا يحب مطلقًا الحوار، أو التفاوض، يتحدثون، ولكن دون نكت أو طرائف من بكر وعيسى، ومن المستحيل أن يُسمَع صوت الطبل، كتلة الفرح «فطيمة» غادرت في يوم الحزن الأمريكي بسقوط برجي التجارة العالمي، وغادر الفرح أسرة الضبادي، هل تجرؤ إحدى النساء أن ترقص أو تغني؟ هل يقدر أي واحد من هؤلاء الرجال أن يتحدث بصدق ووضوح؟ هم يتحدثون فقط عن مرضه، عن وحدته، ولكنهم لا يتحدثون عن أنفسهم عن أمراضهم المتعددة، لقد كان دخيل الله واضحًا في حياته، هذا الوضوح أفقده كثيرًا من الأصدقاء والزبائن، وجعل اليوم الذي ترك فيه محل الزل أشبه بالعيد للبعض، حتى إنه سمع ذات يوم من يقول لابنه مانع: «الله يعينك كيف تتحمل والدك؟» ويعرف كل أسرة الضبادي أن والدهم دخيل الله «صعب المراس» وهذه الجملة أطلقها ابنه الدكتور نوح عندما تحدث عن طبيعة والده،



Twitter: @ketab_n

ولكن دخيل الله الضبادي على الرغم من كل ذلك في داخله طيبة وحب مغلَّف بجفاف مدينة الرياض الصحراوية، ولذلك أحبه الجميع، وبكل تأكيد هذا الحب يتضاءل أمام حب سعاد لجدها، وحب جدها لها، حتى دخيّل لم يكرهه مطلقًا، لا يزال يحبه، ولكن إنه الخوف من أناس فقدوا الحب، وفقدوا الصفاء، يجتمعون، يتجادلون «بيت أم زوجة»، في مجلس الرجال، في بيت الصالحية، أمام رجل فقد القدرة على الكلام يمارس بعض الرجال شهوة الكلام.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**ها هُوَ الطَّريقُ أمامَكَ**

**مَسَارٌ واضِحٌ**

**مَسَارٌ فاضِحٌ**

## (22)

خمسة عشر رجلاً لخمسة عشر عالَمًا مختلِفًا، يجتمعون في مكان واحد، مجلس الرجال، هذا ما يطلقون عليه دائمًا.

يجلسـون حول ذلك الرجل الصامت، الذي اكتفى بالنظر إليهم وتأمُّلهم.

هذا المجلس نوافذه تطلُّ على شارع غير نافذ، مجلس الرجال يحتل مساحة واسعة من ذلك البيت الكبير، كما كان يتصوره الأطفال، وحتى الآن لا يزال كبيرًا، ما دام دخيل الله الضبادي يقطنه، لا يزال



Twitter: @ketab_n

ذلك البيت كبيرًا، بالمقارنة بما يحيط به من بيوت شعبية في حي الصالحية بالرياض.

كان ذلك الرجل الصامت المُحَاط بما يشبه الإطار الخشبي يتابع حديثهم، أراد أن يصرخ، لم يستطع. جسده متخشّب، إنهم يتآمرون عليه، يبحثون عن حل لمشكلة خاصة به، لا يريد أن يتزوج، ولا يريد أن يغادر هذا البيت الذي يحمل أجمل ذكريات حياته قسرًا، ثلاث سنوات قضاها وحيدًا بعد وفاة زوجته فطيمة، الجميع يرى أنه بحاجة إلى امرأة تعيش معه الأيام المتبقية من عمره.

حسبه أن يتساءل: ألا يكفي وجود دخيّل وسعاد وأطفالهما في هذا البيت!

ثمة أشياء كثيرة يحتاجها دخيل الله الضبادي، لا مكان للزوجة بينها، ربما من أهمها أن يتركوه يعيش بقية عمره بسلام، وأن يكونوا جميعًا مثل سعاد.

وحين يكون ذلك صعب المنال فالموت أرحم، ولكن الموت لم يطرق الباب بعد، فليكن نصف ميّت، ليكن في حالة أشبه بالغيبوبة، هو لم يمُت وليس حيًّا، هو بين بين، يسمع ويرى، ولا يتكلم، ليكن شاهدًا صامتًا على موت جسده، رويدًا رويدًا حتى يعلن على الملأ عن موت دخيل الله الضبادي والد كل من مانع ورجل الأعمال عاشق والدكتور نوح، ووالد سبيكة زوجة عليان بن رزق الله وحسناء ولولوة زوجتي الشقيقين بكر وعيسى، وجدٌّ لعددٍ كبيرٍ من الأحفاد.

هو لم يمُت، لقد بقي شاهدًا على زمن البين بين، تمنى أن يعرف ماذا تم بشأن أولئك الرجال الذين فاجأهم بغيبوبته، ربما تكون جدران ذلك المجلس شاهدةً على ما حدث، وجسده الصامت الواهي الممدَّد



Twitter: @ketab_n

على السرير هو الرجل الذي يعي في داخله لأنه سيسمع ويرى ولكن لـن يتكلـم، لـن يقـول إن حفيـدي دخيّل غدر بي، وزوَّر توقيعي وأخذ بصمتي قسرًا في وقت ليس لي حيلة ولا قوة في أن أرفض أو أوافق.

تحدث الجميع عن كل شيء، وانتظروا مبادرةً لإزالة الخلافات بين بعضهم، وبالذات بين الأخوين مانع وعاشق، كان راشد أكثرهم خوفًا من تلك المبادرات، لا سيما إذا كانت المبادرة من خاله مانع ووالده عليان بطلب إعادة العلاقة مع دخيّل، حيث إن حمدة حذرته من التنازل، فدخيّل هو الذي يجب أن يعتذر لراشد وزوجته حمدة.

إطلاقًا لم تكن هنالك مبادرات، والأمر الذي جمعهم مانع بسببه لم يبُح به بعدُ، فقد كان يعرف أن هنالك ردود فعل متشنّجة، لذا فقد آثر إرجاء نشر الخبر حتى الانتهاء من تناول العشاء الذي ساهمت في إعداد أكلاته الشعبية نساء آل الضبادي.

همَّ بعضهم بمغادرة البيت بعد انتهائهم من وجبة العشاء، ولكن عليان طلب منهم البقاء وتناول الشاي الأخضر.

اجتمع الرجال مرةً أخرى في مجلس الرجال الكبير في الوقت الذي كان الممرض الشرق آسيوي قد انتهى من إطعام دخيل الله عشاءه المكوَّن من عصائر طبية خاصة تحتوي على نسب غذائية جيدة تُبقيه حيًّا دون أن يتمتع حقيقةً بطعام أو شراب، غادر الممرض المكان بعد أن أجلسه على سريره في وضع صحيّ.

تأكد مانع أن جميع الرجال في المجلس ثم بادر قائلاً: هل أخبر أبوي دخيل الله أحدكم شيئًا بشأن هذا البيت؟

كانت إجابة الجميع بالنفي.

حينها قال عاشق: هذا الاجتماع لأجل هذا البيت، الآن وافقتم



Twitter: @ketab_n

على تغييره.

رد عليان: الحقيقة أن البيت لم يعُد لنا يد في بيعه أو استبداله ببيت آخر.

قال نوح: من الخطأ التفكير ببيع أو تغيير هذا البيت ووالدنا على قيد الحياة، أحسن الله خاتمته.

عندها قرر مانع إخبارهم بالأمر قائلاً: أبوي تنازل عن هذا البيت لدخيّل وسعاد.

سمع الجميع صوت راشد مرتفعًا وهو يقول: معقول هذا!

«كيف يتنازل عن البيت وهو لا يستطيع الحركة ولا الكلام ولا يعي مطلقًا ما يدور حوله؟» قال ذلك عاشق غاضبًا وهو على وشك الوقوف ومغادرة المكان.

«التنازل هذا كان قبل قرابة ثلاث عشرة سنة، وهذه صورة من وثيقة التنازل» قال ذلك عليان وهو يقدّم صور الوثيقة.

اطلع الجميع على صور التنازل تلك، وطلب عاشق الأصل ليقدمها لمحامي زوجته ليتأكد من صحتها، عندها اعترض دخيّل وقال لهم: الوثيقة في مكان آمن ولن ترى النور الآن.

ثم أضاف قائلاً: ليسامحني الله ثم جدي الذي لم يرغب أن يعلم أحد بهذا التنازل إلا - بعد عمر طويل - أن ينتقل للرفيق الأعلى.

قال ذلك دخيّل وهو ينظر إلى جسد جده الممدَّد على السرير، والذي كانت عيناه تلمعان ببريق خاص، القبول أو الرفض، لا أحد مطلقًا يعي، كم تمنى كل واحد باستثناء دخيّل أن يتحدث دخيل الله ولو لثوان قليلة، أن يقول، صادق، أو كاذب، وكم كان دخيّل يخاف أن تبدر من جده أي حركة توحي بالنفي ولو كانت هزة رأس!



Twitter: @ketab_n

أخذ كل من عاشــق وراشــد بن عليان صورة للوثيقة، بينما علق نوح بأن قرار والده واضح منذ أن طلب من دخيّل وزوجته السكنى معه في هذا البيت، لذا لا مجال للاعتراض.

وأحسَّ بالراحة كل من مانع وعليان بعد أن علم الجميع بالأمر، ربما دخيّل أكثر الجميع اطمئنانًا لأنه أتقن تمرير الكذبة على الجميع ولن يشــك أحد بملكيته للبيت، لذا فما إن غادر الجميع البيت حتى ذهب إلى مركازه قرب حظيرة الحمام، وطلب من سـعاد أن تعدَّ له شايًا وعمَّر أرجيلته وبدأ يترنم بأغنية: «يا طيب القلب وينك!».



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**سأبحثُ عنك**

**سأرحلُ بعيدًا عنك**

**لأبحثَ عنك**

## (23)

«متى نرتاح من أهلك ومشاكلهم!».

قالت ذلك سوير بعد أن اطلعت على صورة وثيقة ملكية البيت، لم يكن يهمها مطلقًا انتقال ملكية البيت؛ لكون ما سيحصل عليه زوجها بعد وفاة أبيه من قيمة البيت لا يساوي مطلقًا أرباح أسهم إحدى الشركات التي تمتلكها في نصف عام، ولكن هذا جعلها تتساءل لماذا دخيّل بالذات ولماذا لم يذهب الأب دخيل الله إلى المحكمة للتنازل لحفيديه.



Twitter: @ketab_n

تفحصت صورة الوثيقة مرةً أخرى ولاحظت أن تاريخ الوثيقة كان في موسم حج حيث تكون المحاكم مُغلَقَة، ولكنها رأت أن ذلك لا يمنع أن يذهب الجد والحفيد إلى المحكمة للتنازل، وردًّا على تساؤلها أخبرها عاشق بأن صك تملك البيت وجميع أوراق والده الرسمية لدى مانع، لذا فمن الطبيعي أن يكتفي دخيل الله بكتابة وثيقة من أوراق المحل، فربما قد يعترض الابن أو يطلب أخذ رأي الجميع.

بقي شيء لم تفهمه سويّر عن وضع البيت، لذا فقد سألت سويّر زوجها عن سبب غضب دخيل قبل سنوات حينما طرح فكرة استبدال البيت بالفيلا التي في ظهرة البديعة، حيث كان من المفترض أن يكون أكثر هدوءًا لكون الوثيقة لديه، ولن يمسَّ أحد البيت غيره بموجبها، وقد برر عاشق ذلك بأنه في ذلك الوقت لم يملك جرأة مكاشفة الجميع بالوثيقة، وأضاف أن دخيّل اعتذر له عند أول لقاء تم بينهما.

مزقت سويّر صورة الوثيقة، لتُنهي الجدل حول ملكية بيت الصالحية لدخيّل وزوجته، ولتقول له: إذا مات أبوك ووزعوا ميراثه، تصدَّق بالمال، حنًّا في غنى عن قروش الضبادي.

شعر عاشق بن دخيل الله الضبادي بأنه ضئيل جدًّا أمام قامة سويّر النسيجان العملاقة، تقبل كلامها بهدوء وذهب إلى مكتبه.

كان يقول في داخله: أنا اخترت أن أكون عاشق سويّر النسيجان، لأتقبل هذا الوضع، فبدونه سأصبح مثل دخيّل أفرح بحصولي على بيت شعبي في حي الصالحية، فعاشق سويّر النسيجان يمتلك، إضافةً إلى أرصدة متعددة في البنوك، عمارة في حي العزيزية بمكة، ريعها السنوي ضعف قيمة بيت الصالحية، إضافةً إلى محل الديرة.

كانت سويّر النسيجان تعمل جاهدة على إلغاء اسم الضبادي من



Twitter: @ketab_n

قاموس حياتها، حتى إنها فكرت أن لا يتجاوز أسماء أبنائها عن اسم الأب والجد، وغالبًا تضيف (الـ) التعريف لعاشق ليصبح وكأنه اسم العائلة وعندها يتوقع الناس أن مازن العاشق وطارق العاشق ورحاب العاشق من أسرة لا علاقة لها مطلقًا بعائلة الضبادي.

كانت سويّر النسيجان تعرف كثيرًا أن العائلتين من طبقة واحدة، فقدت تسلسلها النسبي في زمن ما فبقيت معلَّقة برابع أو خامس جد، الذي لم يُفصِح عن نسبه الحقيقي لأسباب ربما قبليَّة أو قيامه بمهنة يترفع عنها أهل قبيلته فتسقط به وبذريته من برج قبيلته العاجي، وقد كان بإمكانها مع أخويها البحث والاستقصاء أو دفع مبالغ معينة لأحد شيوخ القبائل المعروفة لتلحق نسب أسرتها بقبيلته، ولكن رأت أن اسم عائلتها له بريق خاص، لا سيما وأن ثروة عائلتها ازدادت بعد الطَّفرة وأصبح أخواها من وجهاء المجتمع، وتوطَّدت علاقاتها بالعديد من نساء الطبقات الراقية، لذا فقد قالتها صريحةً أكثر من مرة لعاشق: «والدك له حق عليك» أما بقية العائلة وبالذات «الدلال مانع» فرجاء ابتعد عنه، أنت تتذكر ما فعلته زوجتاه مع حمدة عندما رفضتا تزويج رحاب لابنه عبد الله، وتذكر ما نشروه بين الناس عن أسرتنا، حتى إنهم جعلونا فاسقين كفارًا.

لم يحتج عاشق للتذكير، فقد أُصيب حينها بحالة اكتئاب شديدة للصراع الذي تفاقم مع عائلته بعد رفض زوجته عبد الله ولد مانع، إضافةً إلى أن علاقته بأخيه نوح توترت منذ مشروع أمه فطيمة تزويج ابنه مازن بابنة نوح فطيمة.

لم تفتخر سويّر مطلقًا بالدكتور نوح، ولم تسعَ للتعرف على زوجته «سيتا» والتفاخر بها في مجتمعاتها المخملية، بل كانت تسخر



Twitter: @ketab_n

مـن ملامحهـا الصينيـة، وعندمـا بلغهـا خبر وفاتها لـم تقم بتعزية نوح ولا ابنته فطيمة، مما زاد من الفجوة بين العائلتين، لقد كانت سـويّر تنتظر وفاة دخيل الله بفارغ الصبر لكي تسدل الستار على عائلة تدعى الضبادي.



Twitter: @ketab_n

**بيضاءُ**

**حمامةٌ بيضاءُ**

**وحدَها فقط تمتلكُ كلَّ الألوانِ**

## (24)

اجتماع العائلة ولقاء جميع رجال عائلة الضبادي، ونقاشهم وارتفاع أصواتهم، وأخيرًا الفرح المرتسم على محيًا دخيّل، لم يستوعبها عقل سعاد، حتى حينما قالت لها أخواتها: «مبروك البيت» لم تعرف مطلقًا ماذا تعني هذه التهنئة! حتى أخبرها بهدوء دخيّل بتنازُل جدهم لهم عن بيت الصالحية الذي يعيشون به الآن، وقد أحسَّت بالراحة والاطمئنان عندما قال لها دخيل: «بعد عمر طويل وعندما يموت جدي سنبقى في هذا البيت ولن يستطيع أحد أن يخرجنا منه».



Twitter: @ketab_n

سعاد فاجأها الخبر، وقالت لدخيل: لماذا لم يخبرني جدي بذلك؟ عندها أخبرها دخيل بأن حكمة جدي تدرك أن السر الذي يتجاوز الاثنين يشيع، وهو لا يريد أن يرفض أحد أن يكون البيت لنا. وحين قالت له إنه لن يرفض أحد، أجابها بهدوء قائلاً: «يا حبيبتي، أنت طيبة وتتوقعين كل الناس مثلك طيبين، كلهم يضحكون في وجهك، لكن بعيد عنك يلعنونك ويسخرون منك، أولهم أخوك راشد وزوجته حمدة التي هي خالتي وشقيقة أمي».

بساطة سعاد وطيبتها وبطء تفكيرها كانت عونًا لدخيل، فهو لا يريد مطلقًا امرأة ذات خبرة بالحياة لتفهم سلوكيات الشر وتعرف ما وراء كل تصرف، فلو كانت امرأة طبيعية كأخواته أو أخواتها لاكتشفت حتمًا أنه زوَّر توقيع جده، ولو تواطأت معه فحتمًا سيكون وضعه صعبًا ومخيفًا، لأنه لن يثق مطلقًا بحفظها للسر، ولكنه يشعر بأمان لكون زوجته الطيبة تلقت خبر حصولهما على البيت دون تفكير، أو مناقشة، وعاشت فرحة الاستقرار، وصدقت أن جدها فعلاً تنازل لها عن البيت مع زوجها.

تقبلت سعاد الوضع بهدوء وبكثير من الفرح، وفي صبيحة اليوم التالي طلبت من الممرض الشرق آسيوي أن يتركها مع جدها دخيل الله، كان الممرض قد انتهى من غسل جسد دخيل الله المتخشّب، ووضع بعض المراهم الخاصة لتطرية الجلد، وقد ألبسه بمساعدة مانع الذي حرص على زيارته قبل ذهابه إلى محله بالديرة، ومن ثم قام بتبخير الغرفة ووضع بعض دهن العود على ذقن ورأس دخيل الله، وهذا ما جعله مستيقظًا يتأملهما بصمت، وقد نطقت عيناه بالفرح عندما رأى سعاد تدخل المجلس بعد مغادرة الممرض الآسيوي،


Twitter: @ketab_n

والتي قامت بتقبيل رأسه وجبينه ويديه، كانت تبكي ثم ما لبثت أن قالت له: "أنا أحبك يا يبَّه، الله يخليك ويعافيك، دخيّل فرَّحني وقال أنت كتبت البيت لنا، البارح البيت مليان، أبوي وخوالي وخالاتي ورجالهم وعيالهم وبناتهم، تمنيت إن يمَّه فطيمة حية وتشوف هذا الاجتماع، ما غاب إلا سويّر مرت خالي عاشق، أبوي وخالي مانع أحضروا العشاء من عند الطباخ ذبيحة كأنه عُرس، أنا قلت لدخيل إنهم مبتهجون لأن البيت صار لنا، لكنه قال لي ما هو كلهم، فيه ناس يضحكون بوجهك وبعيد عنك يكرهونك، ويتكلمون عنك، ليش يا يبَّه ما قلت من أول إن هذا البيت لدخيّل وسعاد؟ كلهم يحبونك ويخافون منك،ما فيه أحد يقدر يقول لا.

كان دخيل الله ينظر إليها، ويستمع إلى كلامها، لم يستطع أن يعلق أو يقول: «أنت يا سعاد تجمعين بين النقاء والشفافية كالثلج، تستحقين كل الفرح، إذا كانت ملكية البيت تبهجك فهو لك، ولكن الخوف من أن تتلوث قطعة الثلج بوحل دخيّل.

الجفنان بدءا يرتخيان رويدًا رويدًا، هل هو إحساس بالأمان والطمأنينة! بكل تأكيد هو كذلك، فوجه سعاد وجه ملائكي يستحق دخيل الله أن يغمض عينيه بعد رؤيته.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**خارجَ السّربِ تحلّقُ**

**نحنُ سربٌ**

**سربٌ يحلّقُ في الخارجِ**

## (25)

باستثناء سعد بن عليان، وإلى حد ما خديجة بنت مانع، تبقى عائلة الضبادي خارج إطار التشدد الديني، غالبيتهم ملتزمون ولكن التزامًا لم يصل إلى حد المغالات.

دخيل الله الضبادي عُرِفَ منذ صغره بحرصه على أداء الصلوات الخمس بالمسجد، الأمر الذي جعل إمام مسجد الظهيرة يزوجه من ابنته «فطيمة»، على نهجه سار ابنه مانع وابن أخيه عليان، عاشق ونوح أقل التزامًا، بالذات أداء الصلوات الخمس بالمسجد، ربما نوح أكثر من



Twitter: @ketab_n

أخيه عاشق حرصًا على التدين، عاشق شغلته التجارة والسفر، فبحث عن المتعة البريئة، التي لا تتوفر إلا لمن لديه ثروة، وحسبه كذلك، أما الدكتور نوح فقد جمع بين العلم والدين، وفي سنوات دراسته في أمريكا أَمَّ بالمصلين أكثر من مرة، وخطب بهم باللغة الإنجليزية جمعًا متعددة، ورَئِسَ المركز الإسلامي في إحدى دوراته، لكنه لم يصل إلى مرحلة الداعية، وبكل تأكيد لن يصل مطلقًا لدرجة ابن أخته سعد.

راشد، الأستاذ الذي يعمل في سلك التدريس يحرص أن يكون قدوة، لا يريد أن يكون متشددًا، وهو رجل يحمل في داخله هوس الكسب والحصول على ثروة، هذا يجعله يتنازل عن كثير من المبادئ الأخلاقية، قد يكذب لكي يبيع أرضًا، قد يشهد زورًا، ولكن لا يصل ذلك إلى حد المساس بالدين، يردد دائمًا: «الله غفور رحيم».

هي الصحوة، زمن مثقل بالفتن، ولا سبيل لحياة أفضل إلا سماع ما يقولون واتباعهم، لم يكن قدوة أحمد وإبراهيم ولدي راشد بن عليان، والدهما، فهو إنسان به خير شأنه شأن كثير من أقربائهم، ولكن هؤلاء جميعًا ليسوا كعلمائهم وشيوخهم، هنالك قدوة، وهنالك أناس يملؤهم الجهل، والدهما لا ينفر من سماع المعازف، أما خالهما سعد فرأى فيهما خيرًا غير متوفر في أغلب أبناء أسرة الضبادي، حفظا أجزاء من القرآن، تحولت حلقة القرآن إلى خلية نشاط، رحلات نهاية كل أسبوع إلى إحدى الاستراحات أو المزارع خارج مدينة الرياض، وجدول يتداخل فيه اللهو بالجد، وزيارات لمشايخ غير معروفين يُجِلُّونهم ويقدّرونهم، أحمد هادئ لا يكاد يسمع صوته منذ صغره، إبراهيم أكثر جرأة، ولكنه ووفق تربية والده، محب لأخيه حريص على تنفيذ أوامره، وحتى يطمئن راشد على ابنيه كانت موافقته للاشتراك



Twitter: @ketab_n

بالرحلات أو أنشطة المراكز الصيفية أن يكونا معًا، لذا فقد اتحدت أفكارهما، لم يختلفا مطلقًا، ربما أحمد أكثر هدوءًا، وإبراهيم أكثر حِدَّةً، ولكن تحولا إلى شخص واحد يعبر مسارًا واحدًا برضى من والديهما راشد وحمدة، وبمباركة من عمهما سعد، ربما يكونان من طيور الجنة، يحلّقان، يرفرفان في سماء الرياض، لا أحد مطلقًا ينهرهما أو يلومهما، هما نموذج مريح لكل أبوين، حتى جدهما الأكبر دخيل الله تتهلَّل أساريره عند رؤيتهما، وجدتهما الكبرى فطيمة تغضب عندما لا يأتيان مع والديهما، مستقبل جميل ومشرق يرسمه أحمد وإبراهيم لأسرة الضبادي، هذا ما كان يتوقعه جدهما الأكبر دخيل الله، وجدهما عليان، وخال والدهما مانع، وبكل تأكيد كل رجال الضبادي ونسائهم يرون أن أحمد وإبراهيم نموذج جيد وجميل للأبناء الذين يجمعون الدين بالدنيا، أما أحمد وإبراهيم فقد امتلأ رأساهما بأوامر ونواهي وخطب وفتاوى، تشكَّلت بها حياتهما.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**دَع عنك هذا الفضاءَ**

**دَع عنك هذا الهراءَ**

**دَع عنك هذا العناءَ**

## (26)

رغم مرور سنوات طويلة من تجميد علاقته بالقراءة والكتب ظلَّ راشد بن عليان مخلصًا للكتاب في احتفاظه بخزانة وضع فيها ما اقتناه من كتب قبل زواجه، خزانة الكتب هذه كانت ستبقى في دائرة النسيان لولا أن قام ابنه الكبير أحمد بنبشها ومراجعتها، وساعده في ذلك بعد زمن أخوه إبراهيم.

الخزانة تحتوي على مجموعة من كتب التاريخ والسير، ولكن إضافة إلى ذلك كانت هنالك بعض الروايات المترجمة التي كانت



Twitter: @ketab_n

تصدرها بعض دور النشر في لبنان لبعض الكتَّاب الروس، مثل ديسكوفيسكي وتولستوي وكذلك بعض الروايات العالمية، إضافة إلى مجموعة من روايات نجيب محفوظ وقصص يوسف إدريس وروايات إحسان عبد القدوس، كان راشد قد اشتراها من باعة الكتب الذين كانوا يوجدون على الأرصفة عند تقاطع شارع المرقب مع البطحاء، وذلك قبل زواجه بعشر سنوات تقريبًا.

نبش الخزانة تلك من قِبَل أحمد وإبراهيم ابني راشد كان يهدف أولاً للتخلص من كتب المجون والفِسق، فكان أول ضحية من تلك الكتب مجموعة أجزاء ألف ليلة وليلة، بعد ذلك احتفل الأخوان بحرق كتب صاحب أولاد حارتنا الذي كان يسخر بذلك الكتاب من الذات الإلهية والأنبياء كما أبلغهم أحد أصدقاء عمهم سعد بن عليان.

مع مرور الزمن بدأت تتغير محتويات الخزانة من الكتب، حيث تحولت من كتب في التاريخ والسير والتراجم والأدب إلى كتب في العقيدة وكثير من الكتيبات الصغيرة التي كانت توزَّع بالمجان، وكم هائل للتسجيلات الصوتية لعدد من المحاضرات التي تحث على الجهاد ومجابهة كل ما هو بدعة وقادم من الغرب.

التنوع والشمول الثقافي الذي كانت تتسم به محتويات الخزانة، اختفى لتتمحور محتويات الخزانة حول دائرة ضيقة ولأسماء محدودة.

الأمر لم يتوقف عند الخزانة فقط بل تجاوزه إلى مقتنيات البيت التي كان أو ل ضحاياها جهاز التلفزيون، وما لحق به من جهاز استقبال وطبق فضائي، وبعض الصور والتُّحَف.

راشد كان يشعر بالراحة لأن ابنيه ملتزمان، حيث كان يخاف عليهما أن يقعا في المخدرات، أو أن يدمنا الغزل والتدخين، إضافة



Twitter: @ketab_n

إلى أنهما بالتزامهما قد خففا عنه عبء صرف أموال على شراء سيارات حديثة أو لبس أنيق أو سفر إلى الخارج، بالمقابل كانت حمدة تخاف من ذلك التأثير الشديد من قبل عمهما سعد عليهما، هي تعرف أن هذا التأثير قد يقودهما إلى السجن أو الموت، ولن تقبل الأم مطلقًا أن ترى ولديها يسيران على خطى عمهما، تحدثت كثيرًا مع راشد حولهما، الذي طمأنها أن الأمر ليس بهذه الخطورة، وهما لا يزالان شابين في مقتبل العمر، إكمال الدراسة وتوسع علاقاتهما في المجتمع سيصحّحان -مستقبلاً- كثيرًا من أفكارهما، موضحًا أن الملحق الذي بناه في فناء المنزل والمكوَّن من غرفة كبيرة ودورة مياه ملحقة بها سيكون للولدين لاستقبال أصحابهما، وهذا سيحدُّ من غيابهما خارج المنزل.

تقبَّلت حمدة الأمر على مضض مؤمّلةً أن يعود ولداها إلى طبيعتهما، ويتقبلا كلامها بأن ليس كل العالم مشركين، وأن الإسلام دين محبة وخير، ورغبة في التأثير عليهما تحدثت مع والد زوجها عليان الذي ينز في داخله جرح ابنه سعد، مشيرةً إلى أن اثنين من أحفاده بدءا يسيران على خطى عمهما سعد.

لقد أحب عليان حفيديه أحمد وإبراهيم منذ صغرهما، كان الفارق الزمني بينهما لا يتجاوز السنتين فأصبحا كأنهما توأمًا، كانا هادئين منذ صغرهما، ويحبان مشاركة الكبار في المجلس، ويحرصان عندما يأتيان إلى بيت الصالحية على الجلوس بجانب جدهما الأكبر دخيل الله يقبلان يديه ورأسه، رغم أنه عُرِفَ عنه عدم تودده للأطفال الصغار، لكون الأطفال يحتاجون صدرًا رحبًا وهذا ما يفتقده دخيل الله الضبادي.



Twitter: @ketab_n

الحب الشديد الذي يكنه عليان للولدين تحول إلى خوف وغضب، طلب منهما أن يأتيا إليه، تحدث معهما، أخبرهما أن الإسلام لا يقترن مطلقًا بالعنف، وأن عمهما سعد تعلَّق ببعض مِمَّن يدَّعون المشيخة والإفتاء والذين كفروا الدولة وعلماء المسلمين جميعًا، صدقهم وسار على نهجهم ليصبح خارجًا على النظام وليفقد متعة الاستقرار وبناء أسرة سعيدة وقبل ذلك بر الوالدين، طمأنا جدهما قائلين أنهما سيبحثان عمَّا يرضي الله أولاً ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ووالديهما وما فيه خير للجميع.

تمنَّت حمدة أن يتغيرا ولو قليلاً بعد ذلك الوعد الذي أخبرها به عمها عليان، ولكن تأثير الخزانة التي أخذت لها مكانًا بارزًا في الملحق وامتلأت بالكتب وأشرطة التسجيل الصوتي أقوى، إضافة إلى جهاز الحاسب الآلي الذي أخذ حيزًا بجانبها.



Twitter: @ketab_n

**أقبِل قليلاً**

**واقبَل كثيرًا**

**أنتَ أنتَ مُقبِلٌ مُدبِرٌ**

## (27)

لم يصعّد الدكتور نوح حادثة خطبة فطيمة وموقف زوجة أخيه عاشق من عائلتهم، حيث كان قراره عدم الخوض في مشكلات عائلة الضبادي وهي كثيرة، ولم ينحز لأحدٍ من الأخوين، فعلاقته بمانع وعاشق بقيت هادئةً تمامًا، ساعده على ذلك الموقف المجتمع الذي اختاره وهو بكل تأكيد بعيد عن مجتمعات عائلة الضبادي كافة، فاقترانه بسيتا كان سببًا في تكوين علاقات مع بعض الأسر الغربية والعربية وكان نتيجة ذلك زواج أحمد شريف بابنته فطيمة، التي انتقلت مع



Twitter: @ketab_n

زوجها إلى سكن بعيد عنه قليلاً، والذي ما لبث بعد عدة سنوات أن انتقل إلى دبي شريكًا لإحدى الشركات الكبرى في مجال تقنية المعلومات، وبالطبع انتقلت معه زوجته وطفلها الحفيد الوحيد لنوح: أحمد شريف، لم يترك الرياض تمامًا بل أبقى هنالك فيلا صغيرة اشتراها باسم زوجته فطيمة، وهذا أعطى لنوح شيئًا من الطمأنينة، لكونه سيرى ابنته وحفيده ولو كل ثلاثة أشهر.

مرض زوجته سيتا وسفرها إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعلاج ومن ثَم وفاتها هناك، أمر كاد أن ينهي حياة نوح لكونه تعود على الحياة الهادئة مع زوجته، وها هو الآن وحيد، لم يفكر مطلقًا بالزواج، رغم محاولات أخيه مانع وأخواته الثلاث اللاتي يلتقينه غالبًا عند والده دخيل الله أثناء زيارته له.

لم يكن سبب الرفض المؤهل العلمي فهنالك العديد من حاملات درجة الدكتوراه والطبيبات يتمنين الدكتور نوح، ولكن ربما علاقته بسيتا التي دامت قرابة الربع قرن جعلته مخلصًا لها.

«زوجتي العلم والبحث» قال ذلك الدكتور نوح لينهي كل النقاشات، وليتفرغ للعديد من الأبحاث إضافة إلى تدريسه بالجامعة، مما أعطى له سُمعة جيدة في أوساط الجامعة، ومن ثَم جميع المؤسسات العلمية، وهذا تسبب في ترشيحه لمنصب قيادي، حينها خاف أن يتحول إلى كائن إداري، بعيد عن مجال البحث والدراسة، فقرر الاعتذار.

التقدير المعنوي هذا واكبه موقف عدائي من بعض أقرانه في الجامعات، بعضهم وصفه بالوصولي وأنه يطمح لمنصب وزير، أما الأغلبية ووفق تراكمات كثيرة بدأت بدراسته في أمريكا ثم زواجه من



Twitter: @ketab_n

أمريكية إضافة إلى كونه حليق الشارب واللحية وأفكاره التي يرونها مغايرة لأفقهم وتوجههم فقد ألبسوا عليه حلة العلماني، بل إن أحدهم وقد كان يرغب بالصيت والشهرة أعلن للملأ أنه يتلقى دعمًا وتشجيعًا من سفارات أجنبية، وقد أثرت عليه تلك الفرية، لا سيما والكل يعلم مدى التزامه الديني الذي لم يكن صوريًا مطلقًا، إضافة إلى ولائه لوطنه، ورغبته في أن يساهم في عملية البناء من خلال ما يقدمه من بحوث ودراسات.

كان وحيدًا، زوجته ماتت وابنته مع زوجها في دبي، وأخواه يعيشان حربًا بسوسيَّةً لا يربح فيها أحد، وزوج أخته عليان مثقل بهموم ابنه سعد الذي قال لخاله نوح ذات يوم في لقاء عند جده دخيل الله: «يا خالي، أمريكا طاعون العصر، أتمنى لو تتخلص من هذا الوباء». لم يناقشه وقتها بسبب وجود الأخوين بكر وعيسى زوجي شقيقتيه اللذين بدءا يطلقان النكات التي حدثت لبعض الجنوبيين، مقلّدين لهجاتهم.

حتى إن هذين الأخوين لم يفكر الدكتور نوح بالذهاب إليهما وتفريغ شحنة الاكتئاب عندهما لكونه يعلم أنه بسبب وضعهما الاجتماعي المتوسط ومحدودية دخلهما غرقا بمجموعة من الالتزامات المالية والديون أثرت كثيرًا عليهما، فقلَّت تعليقاتهما وتعلق أحدهما بشاشات الأسهم، بينما بقي الآخر بالبيت إثر جلطة بسيطة بالدماغ شلت جزءًا من الجانب الأيمن من جسده فبقي متعلقًا بأخصائي العلاج الطبيعي ليساعده للعودة إلى سابق عهده.

لا أحد، لا أحد، يمشي وحيدًا في أروقة الجامعة، هو لا يرغب أن يتحول إلى كائن إداري، هو باحث أكاديمي وحر، يجب أن تكون له الحرية في البحث والبقاء في الجامعة وأن تُتاح له كل مقومات


Twitter: @ketab_n

نجاح أبحاثه، لكن كل شـيء تحول إلى كائنات إدارية، حتى قاعات البحـث فـي المكتبـات لـم تُتح له فـي الأوقات التي يرغبها لتنظيمات إداريـة، قـد يتكيـف مـع تلـك البيئة التي تبقى فيهـا بيروقراطية الإدارة هي المتسيدة، لكن ما قضَّ مضجعه وجعله يُصاب بالاكتئاب الشديد سيرته التي يلوكها أعداؤه ووصفه بالعلمانية، ومحاولة جعل المجتمع وبالذات طلبته ينفرون منه لكونه يحمل وباء يُدعى العَلمَنَة.

هو وحيد، ووالده دخيل الله وحيد، هو قادر أن يعيش بقية أيامه حرًّا في عالم يحقق له طموحه العلمي، عالم العلم فيه هو السيد،وقيمة الإنسان بما يقدمه من بحوث ودراسات تخدم الإنسانية وليس بما يتبوأ من مراكز إدارية أو بهيئته التي يجب أن تعجب البعض، ليكون تابعًا يتصنع التقى والزهد وإن لم يكن كذلك.

هو وحيد، ووالده دخيل الله وحيد، ولكن دخيل الله الضبادي لا حول له ولا قوة، هو فقط رُوح لم يحِن بعد صعودها إلى بارئها، أمـا نـوح، فهـو أولاً الدكتـور نـوح، أو بالأصح الأسـتاذ الدكتور نوح، أو وفق ما يطلق عليه في الغرب البروفيسـور، وتلك الدرجة العلمية جاءت بعد العديد من الأبحاث والجهد المتواصل، لذا فعندما راسل عددًا من الجامعات في العالم جميعها رحَّبت به عقلاً عربيًّا مهاجرًا للغرب، محققًا كثيرًا من طموحه، وهناك عرفه الجميع بأنه عالم عربي مسلم وليس علمانيًّا كما أطلق عليه بعض الجهلة.

تمنـى أن يخبـر أبـاه حيـن جـاء يودعه أن ذلك ربما يكون الوداع الأخيـر، كان دخيـل اللـه قـد أوشـك أن يدخـل فـي إحـدى غيبوباتـه المتقطّعة، حيث أوشـك أن يغلق عينيه ولكن حين سـمع صوت ابنه نـوح فتحهمـا وظـل بصـره معلَّقًا باتجاه السـقف، قبَّل نوح جبين أبيه،



Twitter: @ketab_n

وبكى.

كان مانع جالسًا على كرسي بجانب سرير والده.

قال له مانع: اذكر الله، إن شاء الله تروح وترجع سالم غانم.

رد عليه نوح: أبي هذا الرجل، له الفضل الكبير بعد الله أن أنال العلم، أتمنى أن لا أكون عاقًّا لوالدي أو وطني، سامحني يا يبَّه.

غادر نوح حي الصالحية متجهًا إلى بلد فيه حي يتعاون أهله على إزالة أكوام الثلج المتساقط في فصل الشتاء من أمام منازلهم ليسمحوا للعابرين بالسير بحرية.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**مَن أنتَ حتَّى تكونَ**

**مَن أنتَ حتَّى وأنتَ الكائنُ الوحيدُ!**

## (28)

فوجئ الجميع برحيل نوح إلى إحدى الجامعات الغربية ليعيش هناك كما يتوقعون بقية عمره.

سوّير النسيجان شعرت بأن همًّا كبيرًا قد انزاح، لا سيما وهي تتمنى أن لا يكون لآل الضبادي أي صوت أو حضور، ولو قُدّر أن نوح تبوأ مركزه القيادي أو رُشّح وزيرًا كما أشيع حوله لحُجّمَت عائلتهم وكان الصيت للضبادي.

كان مشروعها الأسري الذي سعت بكل ما تملك لتنفيذه أن تلغي اسم الضبادي بحيث لا يقترن باسم زوجها أو ابنيها، وقد حققت



Twitter: @ketab_n

بعض هذا الطموح، لذا بدأ يُطلَق على ابنيها مازن وطارق العاشق، بدلاً من مازن وطارق بن عاشق بن دخيل الله الضبادي، متوقّعة أن اسم الضبادي سيسقط بعد زمن، وبالذات عندما يتزوج الابنان ويصبح لهما أبناء.

مازن بن عاشق أو كما يعرفه الجميع مازن العاشق، سعت والدته لأن يكمل دراسته الجامعية في فرنسا بعد زيارة لها ذات صيف، وتحققت رغبتها، لا سيما وأنها كانت تدفع كل ما تحتاجه الدراسة والمعيشة في باريس، كانت ترغب أن تكون أسرتها مختلفة.

أما طارق الذي حظي بحب شديد من والده واهتمام زائد بنفسه، وبالذات بهندامه كأنه ورث ذلك عن والده، إضافةً إلى شيء من الوسامة وكثير من النعومة، فقد حاولت أمه أن يدرس في الخارج بدءًا من المرحلة الثانوية، ولكن لم يكن مطلقًا لديه الرغبة بالدراسة، أكمل دراسته الثانوية في إحدى المدارس الأهلية الراقية في الرياض بعد جهد من والديه وعدد من مدرسي التقوية، لينال الشهادة الثانوية بتقدير مقبول، مع امتياز بقيادة السيارات الحديثة، وقد كانت هدية نجاحه سيارة ذات قيمة تتجاوز قيمة بيت الصالحية.

طارق العاشق، الشاب الوسيم الناعم أصبح من الأسماء المعروفة في مغامرات قيادة السيارات وصعود الكثبان الرملية، أو ما يطلق عليه في الرياض التطعيس في الثمامة، إضافة إلى العلاقات الواسعة مع الشباب والفتيات، وهو ممن عُرِف بقدرته على خوض أي مغامرة ولو أدت به إلى الحجز في سجن العليا، أو أخذ تعهُّد عليه من قبل رجال الحسبة.

الترف الذي يعيشه طارق منذ طفولته وحصار والدته وخوفها



Twitter: @ketab_n

من أن يقترب من عائلة الضبادي، واهتمام والده به لكونه يسير على خطاه عندما كان صغيرًا، كل ذلك جعله لا يأبه بأحد، ولا يحرص مطلقًا أن يحضر أي مناسبة للعائلة، وقد كان حضوره ذلك اليوم بعد دعوة عمه مانع وزوج خالته عليان للاجتماع عند جده دخيل الله، كان بأمر من أمه بأن يكون مع أخيه مازن الذي جاء من باريس وقتها في إجازة قصيرة حتى يكونا مع والدهما يدافعان عنه لو أراد أحد من عائلة الضبادي التعدي عليه، حتى إنه لم يتحدث مطلقًا مع أحد من العائلة، بل اكتفى باستخدام هاتفه النقال ببعث رسائل لبعض أصدقائه وصديقاته، يخبرهم فيه أنه في مكان شعبي ممل به مجموعة من الرجال لا يعرف بعضهم على الرغم من وجود صلة القرابة التي تربطه بهم.

بعض الرجال في مجلس الرجال الكبير استاء من هيئة طارق، شعره الناعم الطويل الذي بدا واضحًا خلف غطاء الرأس الشماغ، وذلك العطر النفاذ الذي ذكَّر البعض بغرف النوم.

كان الموقف جادًّا ودخيل الله جسد متخشّب أمام الجميع رُوح باقية فقط، لذا فلم يجرؤ بكر وعيسى على إطلاق بعض الطرائف والنكت وبالذات عن الرجال النواعم أو ما يُطلَق عليه في الرياض «الخكاري». ربما لمح دخيل الله بعينيه الكليلتين طارق وهو على هيئته تلك، وبكل تأكيد ضحك من أعماقه، وقال: «هذا ولد عاشق سويّر، ما عليه شرهة، تربية حريم».



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**لماذا كلَّما بدأتُ أبحثُ عنك**

**ابتعدت**

**لماذا كلَّما ابتعدت بدأتُ أبحثُ عنك أكثرَ**

## (29)

شعر دخيّل بالاطمئنان بعد اقتناع الجميع بملكيته مع زوجته سعاد لبيت الصالحية، الأمر الذي جعله يعود إلى مفتاح السعادة كما أسماه، هذا المفتاح هو تربية وبيع الحمام. بدأ يقضي مع الحمام أوقاتًا طويلةً تجاوزت الوقت المفترض أن يقضيه مع أبنائه.

كان يستيقظ مبكرًا وقبل أن يتناول فطوره يصعد لسطح البيت ليطعم الحمام، وفي العصر يخرج الحمام من أقفاصها ويطلقها في الجو للطيران في حركات دائرية وجماعية ومن ثم يطعمها، وقد تعوَّد



Twitter: @ketab_n

أغلب الحمام على ذلك البرنامج اليومي.

وقد تعرَّف على عدد من هُواة تربية الحمام أو ما يُطلق عليه «المطيرجية» الذين استفاد من خبرتهم بصورة أشمل بحيث أصبح يضع ضوابط معينة يراعيها خلال ممارسته لهوايته، حتى إنه بدأ يراجع بحمامه وما اشتراه من طيور الطبيب البيطري، حيث كان لتلك الطيور مواعيد لأخذ اللقاحات ضد الأمراض التي تتفشى بينها.

وقد بدأت الحظيرة تزخر بالأنواع المتعددة من الحمام، منها: البلجيكي، السوداني، الصنعاني، الشماسي، القلابي، السوالوا، العراقي، الجعافر، لونق فيس، شورت فيس، الدمستك، الإسكندراني، الدنش، البلغاري، الشماعي، الهولندي، الأمريكي، الشيرازي، الصيني، القطني، والحمام الزاجل الحساوي، وقد قام بجلب بعضها من مدن المملكة المختلفة، إضافةً إلى بعض دول الخليج والدول العربية.

ونظرًا لأجواء الطقس في الرياض التي قد تؤثر على الحمام فقد أحضر جهاز تكييف صحراويًّا ليقوم بتبريد المكان في فصل الصيف، فالجو الحار يتسبب في موت كثير من الحمام. ومع الخبرة بدأ يحرص على شراء صغار الحمام ثم تربيتها وبيعها حين تكبر بأسعار مرتفعة.

وذات يوم فوجئ بوفاة حمامة من الأنواع النادرة لديه، أصيب بالحزن وأوشك أن يبكي، وقضى أكثر من ثلاثة أيام لا يأكل، وهذا أغضب سعاد التي بدورها أخبرت أمه أمينة لينتشر الخبر ويصل إلى والده مانع الذي لم يصدق أن قيمة الحمامة التي ماتت تتجاوز عشرين ألف ريال، وهو مبلغ يتجاوز جميع ما يوجد من أدوات زينة السيارات في محل دخّيل في دوار الخرج، وبعد أن تأكد من ذلك عذره كثيرًا وشجعه على تلك الهواية الممتعة والمربحة في آن، ووعده بمساعدته



Twitter: @ketab_n

بجزء من قيمة الحمامة.

دخيّل مربي ومطيّر وبائع الحمام في آن كسب احترام وتشجيع بعض الرجال من عائلة الضبادي، وبالذات والده مانع وعمه عليان، وهذا ما جعله يحرص على حضور أغلب المزادات في المملكة وأغلب دول الخليج، ليصبح سطح بيت الصالحية من الأماكن التي تحتوي على النادر والنفيس من الحمام، وليستضيف في مركازه مقابل الحظيرة بعض المهتمين بتربية الحمام.

ذات مساء تحدث مع سعاد التي بدأت تجلس معه إلى ساعات متأخرة من الليل في السطح على المركاز ومقابل الحظيرة عن حمام اللوت العربي، كان يدخن الشيشة ويشرب الشاي الذي أعدته له سعاد، أخبرها أن ذلك الحمام أكثر الأنواع رغبة في الاقتناء والمشاهدة في العالم العربي، وخصوصًا في منطقة الخليج العربي حيث يعتبر فنان هندسة الطيران الاستعراضي الأول، ويُسَمَّى هذا الحمام بالقطيفي نسبة لمنشئه مدينة القطيف في المملكة العربية السعودية، رغم أن هناك من يقول أن منشأه جنوب العراق أو إيران.

وأضاف دخيّل وهو يقرأ إحدى النشرات التي أعطاها إياه أحد أصدقائه عن الحمام قائلاً: تتباين تلك السلالة في ألوان العين والريش وتتفاوت كفاءة أداء الحركات بين طائر وآخر حسب درجة التدريب، وأفضل أوقات طيرانه مع ازدياد شدة الرياح المضادة حيث يقوم بعض منه بشقلبة خلفية تعتبر غير مناسبة أثناء الجو الهادي، وتعتبر عيبًا واضحًا في الأداء أثناء هبوب الرياح،و تتراوح مدة طيرانه بحد أقصى لمدة 30 دقيقة، ولا تسمع ضربات الأجنحة أثناء الطيران في حمام اللوت وإنما يكون بخفة وهدوء بعكس الحمام القلاب.


Twitter: @ketab_n

لم تستوعب سعاد أغلب كلام دخيّل، ولكنها تشعر بالطمأنينة والسلام عندما تشاهد الحمام، وترتاح كثيرًا للحمام ذي اللون الأبيض، الشيء الذي جعلها ترتاح للحمام وتأثيره السحري على دخيّل، حيث أصبح أكثر هدوءًا.

كانت تتمنى لو أن جدها دخيل الله يستطيع أن يأتي إلى السطح ويرى أسراب الحمام، ربما يشعر بالفرح، بالذات عندما يسمع هديلها أو صوت رفرفة أجنحتها، قد يهبه بياض بعض الحمام شيئًا من الحيوية، ربما يتكلم، ربما تعود كلماته القليلة التي فقدتها سعاد بعد إصابته بالجلطة التي حولته إلى جسد أصم. شعرت أن ذلك مستحيل، عندها قررت ذات يوم أن تطلب من دخيّل أن يُعطيها حمامة لتريها جدها.

أعطاها مباشرةً حمامة بيضاء وفق رغبتها من الأنواع الرخيصة، كانت فرحة جدًّا بها، أحضرتها لجدها وأرته الحمامة، كان دخيل الله مستلقيًا على ظهره وعيناه مفتوحتان كعادته عندما يكون مستيقظًا، قبّلت جبينه وقربت الحمامة من وجهه، قالت له: "هذا من حمام دخيّل، شايف كيف هي ناعمة وبيضاء؟".

لم تكد تكمل سعاد كلامها حتى تبرزت الحمامة على جزء من ذقن دخيل الله وصدره، قذفت بالحمامة بعيدًا، وأحضرت منديلاً وقامت بمسح وجه جدها وهي تبكي، سمعها الممرض الشرق آسيوي وقد كان واقفًا عند باب المجلس من الخارج منتظرًا مغادرتها، جاء مسرعًا وأخبرها أن ليس هناك مشكلة أبدًا، حيث سيقوم بتنظيفه بعد قليل وتغيير ملابسه البيضاء التي أصابها براز الحمامة.


Twitter: @ketab_n

بعضٌ حاولَ أن يركضَ
بعضٌ حاولَ أن يمشيَ
بعضٌ بحثَ عن قدمينِ

## (30)

أربعـة هـم أبنـاء عليـان، راشـد أسـتاذ التاريـخ ومدير المدرسـة الابتدائية في حي الزلفي والعقاري المتمرس ببناء وبيع وشراء العقار. وسعد الذي سلك طريقًا أوصله لسجن الحائر. وفهد الموظف البسيط في وزارة الزراعة الذي قرر أن يسكن في الخرج بعد زواجه من أخت صديق له من جنوب الرياض، فبقي بعيدًا عن هموم ومشكلات عائلة الضبادي.

وحمد الابن الأصغر الذي سلك طريقًا مختلفًا عن إخوته، حيث



Twitter: @ketab_n

حرص على إكمال تعليمه الجامعي، ثم ما لبث أن وجد وظيفة بوزارة الخارجية ليلتحق بإحدى سفارات الوطن في دولة أفريقية، والذي يحرص فيما بعد أن يكون أغلب وقته خارج الوطن، حيث لا يأتي إلا في المناسبات ولمدة أحيانًا لا تتجاوز العشرة أيام.

عليان، مصاب بجرح عميق تسبب به ولده سعد، ومصاب برعب أحدثته مواقف أحمد وإبراهيم ابني راشد التكفيرية، ومصاب بحزن لابتعاد ابنه حمد الصغير الذي آثر العيش في قارة أفريقيا، ومملوء بالعتب على ابنه فهد القريب البعيد الذي فضَّل مدينة الخرج سكنًا وأهلها عائلة له.

كان يتمنى أن يكون أحد أبنائه عنده، يتحدث إليه ويبثه همومه، حتى ابنه راشد على الرغم من سكنه في منطقة قريبة منه، ولكن علاقته بمحسن الصخري كانت أكثر، حيث تجمع بينهما تجارة العقار، أما بالنسبة لشقيق زوجته مانع فالعلاقة بينهما قوية، ولكن بدا كل واحد منهما أكثر استسلامًا لضغوط الحياة فأصبحا لا يلتقيان إلا مساء الخميس في مجلس الرجال الكبير عند زيارتهما لدخيل الله.

لذلك فقد كوَّن عليان علاقات خاصة مع بعض جيران المسجد الصغير القريب من منزلهم في حي الربوة، والذي عمل فيه مؤذنًا تطوعًا منذ سنوات.

كان بالقرب من المسجد قصر كبير يسكنه أحد الضباط الذين أحيلوا إلى المعاش بعد أن تبوأ مناصب عُليا في السلك العسكري.

ذلك الضابط المتقاعد هيَّأ مكانًا لجلوس جيرانه وجيران المسجد في الوقت ذاته ممن لا يرتبط بعمل في الصباح، كان ذلك المكان ملحقًا مكونًا من غرفة كبيرة وبجانبها دورة مياه، وذلك في الجزء


Twitter: @ketab_n

القريب من المسجد من فناء ذلك القصر.

اعتاد عليان أن يجلس في ذلك المكان حتى يحين موعد صلاة الظهر فيذهب إلى المسجد ليسمع جميع من بالحي من خلال مكبر الصوت عليان وهو يؤذّن معلنًا دخول وقت صلاة الظهر.

ارتباط عليان بالمسجد وتعوُّده على الجلوس عند ذلك الضابط المتقاعد في ملحق بيته حيث يتحدث مع جيران المسجد عن كثير من الأمور الحياتية، جعله يرفض مغادرة الرياض، ويفضل البقاء ولو كان وحيدًا في البيت.

بقاؤه وحيدًا يتكرر دائمًا في الإجازات وبالذات إجازة الصيف حيث تغادر زوجته وبناته الرياض بصحبة راشد الذي اشترى شقة في الدمام ليقضوا بعض الوقت في المنطقة الشرقية.

ذات يوم وبينما كان عليان جالسًا مع بقية جيران المسجد في المكان الذي خصصه الضابط المتقاعد لهم، سمع الجميع خبرًا عن اقتحام رجال الأمن إحدى الفلل التي كانت تأوي عناصر من الفئة الضالة وفق ما بثته القناة التلفزيونية.

كان قلب عليان يخفق بقوة، هو لم يتأكد من زوجته وبناته اللاتي غادرن إلى المنطقة الشرقية بصحبة راشد عن اصطحاب ولده راشد لأبنيه، حينها تلقى الضابط المتقاعد اتصالاً هاتفيًا ليسأل عليان مباشرةً: «ولدك راشد ساكن في شمال الرياض؟».

أصيب عليان بالدوار، ليُنقَل لأحد المستشفيات، ويبقى تحت العناية فترة من الزمن، عند سماعه عن عملية أمنية للقبض على أحد المطلوبين للعدالة.

لقد فقد حفيديه أحمد وإبراهيم اللذين آويا أحد الذين ساهموا



Twitter: @ketab_n

بقتل رجل غربي، كان ذلك المطلوب صديقًا لعمهم سعد وممن دعمهم بالكثير من الكتب والمنشورات التي امتلأت بها خزانة ذلك الملحق الذي تحول إلى أنقاض بعد مداهمة رجال الأمن له وتفجير المطلوب نفسه بقنبلة يدوية ليطال الموت الأخوين، ولتفقد العائلة وهجها.

كان حمد الابن الأصغر لعليان يتابع إحدى القنوات الفضائية التي كانت تبث أخبار تفجيرات الرياض، عندها قرر عندما ورد اسم ابني أخيه في نشرة الأخبار البقاء في أفريقيا مع زوجته المغربية وطفله، وذلك خوفًا من أن يتعلم ابنه أبجديات الموت.



Twitter: @ketab_n

هديلُ الحمامِ

صوتُ السَّلامِ

السَّلامُ حمامٌ يحلّقُ بعيدًا

(31)

يا له من حلم! بل هو كابوس، وربما جاثوم، كم تمنت حمدة لو كان الأمر كذلك، كم تمنت لو قضت بقية عمرها تحت وطأة الأحلام المزعجة والكوابيس! أو بقيت مستيقظة دون نوم أو راحة ربما كان ذلك أهون من فقدان أحمد وإبراهيم، كيف سترى دونهما وهل ستضحك أو تبتسم مستقبلاً؟ وقد تدثرت بوشاح أسود قاتم لطخ بالدم، دم البراءة،

تخيلتهما فتاة بكرًا مسلوبة الإرادة، زوجوها قسرًا لرجل تمرَّس



Twitter: @ketab_n

صيد النساء والإيقاع بهن، كانت تلك الفتاة تلتحف بالسواد وتنتحب، غرفة صغيرة بضوء باهت، وباب موصد، ونساء يغنين ويرقصن خارج الغرفة، أصواتهن تخنق صوتها.

تسمع إحداهن تقول: أمامك امرأة فقدت عِفتها، فلتهنأ بذلك الصيد،

يضحك ويرقصن، يمزّق الغطاء الأسود، يمزّق البياض، يكاد يمزّق جسدها الذي أجهدته مقاومة عنف الرغبة بالولوج، الطريق سالك، هم قالوا له ذلك، لذا فكم كانت رخيصة عندما قرر امتلاكها، صرخت، أنشبت أظافرها في جسده الذي بدأ يغلي: «أنت احتويتهم بالحرام لماذا ترفضين احتوائي بالحلال؟» قال ذلك وهو يلهث، متجهًا إليها، الطريق سالكة، فلماذا المقاومة؟ يزداد عنفه، يزداد ثقل جسده عليها، تبحث عن بعض هواء تتنفسه، يلقمها في فمها هواء عفنًا، يتقلص السواد في عينيها ليتسع البياض، بياض يُخيفها، ولون أحمر يرعبه.

لم تكن الطريق سالكة، ولم تفقد الفتاة عذريتها قبل أن ينتزع تلك العذرية منها، البراءة البراءة، ولكن، كيف تكون بريئة وهي قد تدثرت بالعفن!

دم أحمر يعلن البراءة، براءة لا تعرفها كل النساء اللاتي بدأن يصرخن، أنت مع امرأة فقدت عِفتها منذ زمن فلا مكان لها مع الأسوياء، لم تكن تلك الفتاة فقدت عفتها ولم يسلك أحمد وإبراهيم طريق الموت لينتهي بهما الأمر إلى بقع من الدم على جدران الملحق ومدخل البيت.

حمدة تعلم ذلك، تعرف نقاءهما، تعرف عفتهما، تعرف أنهما



Twitter: @ketab_n

يحبان الله كثيرًا، ولكن لا يعرفان مطلقًا كيف يمارسان ذلك الحب بصورة صحيحة.

كانت حمدة تصرخ: إنهما بريئان نقيان، تتخيل الفتاة مرة أخرى وقد تضرجت بدماء العفة، والنساء يرقصن ويهللن.

بعض أولئك النساء أدمنَّ مضاجعتها في زمن سابق، كن يبحثن عن الشهوة في جسدها البض، تعرف أنها ممارسة، وممارسة مقيتة قد تنتهي بالنشوة، قد تنتهي بالرعشة ليطفح جسدها بالعرق، ولكن يعرف أولئك النسوة أن ذلك الجسد الذي جاست تضاريسه أياديهن وشفاههن لإطفاء رغبة مؤقتة لم يألف مطلقًا عالم الرجولة، فأردنَ أن يهربن من خطيئتهن ليوقعنها بخطيئة أكبر تنتهي بفنائها، ولن يقبل أحد مطلقًا سيرتها الحقيقية، ولن يعترف أحد بأنها لم تُهتَك عفتها، فقد استسلمت للرغبة لتستمتع بنشوة الالتصاق والمداعبة، جسدها أصبح مرتعًا لنشوة النساء المثليات، كما أصبح عقل أحمد وإبراهيم موطنًا لأفكار شاذة، شذوذ يجلب الراحة النفسية لمن يتصوره فعلاً سويًا، بينما هو ممارسة تنتهي غالبًا بفضيحة، كما هو الأمر عند أسرة الضبادي التي تلوثت بحادثة إيواء أحد المطلوبين.

هل ثمة عزاء لتلك الأسرة التي طأطأ كل رجالها رؤوسهم خجلاً أمام وطن لم يألف غدر أبنائه! حتى عندما قال راشد أن ابنيه قد «غُرّرَ بهما» لم يسمعه أحد، ومن يسمع في زمن اختلط فيه الواقع بالخيال، وبدأ البعض يحيك الفتوى وفق حالة الزمان والمكان، في زمن أصبح من السهولة تغيير الرأي والموقف، حتى فتاوى الموت قالها البعض وقرر أن يمحوها بتوبة واعتذار، بينما نارها الساكنة بدأت تتسع لتحرق الأخضر واليابس.



Twitter: @ketab_n

لينس الجميع تلك الحادثة فللميّت أيًّا كان الرحمة، والبقاء لمن يعـرف أنـه فعـلاً حـي، أو مـن يبحـث عـن حياة جديـدة، لذا فقد كان قـرار راشـد إعـادة ترميـم البيـت الذي تدمر بفعـل التفجير وبيعه ومن ثَم الانتقال بعيدًا عن ذاكرة الموت.



Twitter: @ketab_n

**ها أنا بجانبكَ**

**أنتَ هنا وأنا هناكَ**

**هل ذلكَ الذي بجانبي هو فعلاً أنتَ؟**

## (32)

ألقى الحزن بظلاله على بيت الصالحية، لم يعرف دخيل الله ماذا حل بحفيدي ابنته سبيكة، ربما لاحظ السواد الذي كسا وجوه الجميع، حتى إن سعاد بكت كثيرًا على ابني أخيها (أحمد وإبراهيم) ولم تتحمل الأمر مما جعلها تجهش بالبكاء عند رأس جدها وتقول له: «يبَّه، لا تصدق من يقول إنه بخير، ما هي سهلة موت أحمد وإبراهيم عيال أخوي راشد، أنت تعرفهم يوم كانوا صغار، مؤدبين ما يذبحون نملة، كذاب اللي يقول عنهم كلام شين».



Twitter: @ketab_n

تلك الحادثة قربت دخيّل من راشد وعرفت حمدة بصدق وطيبة سعاد، وأصبحت العلاقة قوية بين أسرتي عليان ومانع، ومما خفف بعض وطء الحزن مبادرة عبد الله بن مانع بتسمية ابنيه التوأم من زوجته عبير بنت محسن الصخري، اللذين ولدا بعد الحادثة بشهر بأسماء ابني راشد (أحمد وإبراهيم) وهذا ما أسعد عليان الذي خرج من أزمته الصحية بجانب أيمن غير سوي بسبب الجلطة التي أصابته بالدماغ وجعلته يخضع لعلاج طبيعي مكثف.

تضاءلت كثيرًا قامة عاشق أمام زوجته سويّر التي أمرته أن يبتعد عن أسرة أنجبت إرهابيين، وذكرته بمستقبل أبنائه ومصير ابنته، لذا فقد حزمت حقائبها وغادرت إلى القاهرة حين بلغها الخبر مصطحبةً ابنها طارق وابنتها رحاب، إضافةً إلى عاشق الذي خاف من لوم الناس إذا بقي في الرياض دون أن يشارك عائلته في مصابها، لذا آثر أن يكون بعيدًا وأن يتصل في الخفاء بعليان وراشد معزيًا ويعتذر لهما عن الحضور للرياض والمشاركة بالعزاء لارتباطه مع عدد من رجال الأعمال في مصر.

محمد بن مانع قدم مع زوجته القطيفية برفقة مولودهما الأول الذي اتفق مع زوجته على تسميته عُمر، وهذا ما أثار استغراب بعض رجال عائلة الضبادي ليتساءلوا عن أمر موافقة عائلة زوجته على هذا الاسم، لم يرغب أن يدخل معهم في نقاش أو جدل فالزمان والمكان لا يسمحان مطلقًا بذلك.

عليان الذي فقد حفيدين له، استمرأ حالة الفقد تلك بابتعاد ابنه حمد الذي اكتفى باتصال هاتفي من مقر سكنه بأفريقيا تحدث فيه معه وقدم العزاء لوالدته سبيكة ولأخيه راشد، وببرود لقاء ابنه فهد



Twitter: @ketab_n

الـذي حضـر مـع أخويـن لزوجته الجنوبية ومكثوا قرابة السـاعة كجزء من تأدية الواجب.

عليان الذي ودع حفيدين واستقبل حفيدين لابنته، فقد قوة صوته الـذي كان يحلـق فـي أجـواء حيهـم ليعلن دخول وقت الصلاة، حالته الصحيـة جعلتـه يتسـاءل: هـل سـيكون شـبيهًا بعمه دخيـل الله، الذي أوشك أن يكمل قرنًا من الزمان؟ هو يعلم أنه الأكبر سنًّا بعده، وهل سيعمّر مثل عمه وجسده مثقل بهموم الأبناء والأحفاد؟ والده اكتفى بنصف القرن عمرًا له ليتركه وحيدًا ليزوجه عمه دخيل الله ابنته سبيكة، لذا فهو يشعر بأنه ابن لدخيل الله، الأمر الذي جعله يطلب من سائق لديه أن يأتي به يوميًا لبيت الصالحية ليجلس بجوار عمه، ولتحضر له ابنته سعاد القهوة ومن ثم تتحدث معهما بصدق وعفوية عن كل شيء.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

مَن أطلَقَ صوتَه للرّيحِ

مَن حلَّقَ عاليًا

صوتُه أم الرّيحُ؟

## (33)

الحمام هو الصديق المسالم الذي لا يعرف العنف والإرهاب، رسول المحبين، دخيّل لجأ إلى مركازه وجلس يبكي وحيدًا عندما علم بموت الأخوين ابني خالته حمدة وحفيدي عمته سبيكة، كان في زمن سابق يحمل في داخله الكثير من الغضب على والدهما راشد ووالدتها حمدة، غضب لم يصل إلى حد الكراهية، ولكن هو يتذكر مدى إحساسه بالنقص عندما استغلت خالته طيبة وسذاجة زوجته سعاد لتجعلها ضمن عاملات المنزل في المناسبات لتطبخ وتعد القهوة



Twitter: @ketab_n

وبعد ذلك تطلب منها عدم الجلوس مع النساء اللاتي يزرنها، لم يتمنَّ مطلقًا لهما مثل هذه المصيبة، لذا فقد كان سباقًا للوقوف معهما ومساعدة راشد في استكمال الإجراءات الرسمية التي أعقبت الحادثة، وهذا كان محل تقدير من خالته وزوجها.

بالطبع ذلك الأمر حقق له راحة أكبر، بالذات في عدم نبش الأوراق الخاصة بملكيته لبيت الصالحية، وقبل ذلك كان ابتعاد عميه عاشق ونوح، بهجر الأول للعائلة والانضواء تحت عائلة زوجته، وهجرة الثاني إلى الغرب ليحقق طموحه العلمي، سببًا لاطمئنانه ليحفزه ذلك إلى التفرغ لبيع وشراء الحمام والبحث عن الحمام النادر، ومن ثَم التوسع ببيع وشراء بعض الطيور المنزلية، وهذا شجعه لشراء استراحة في حي السلي خصصها لهوايته الممتعة، لذا فقد شرع ببناء حظيرة كبيرة حرص على أن يكون تصميمها وفق مواصفات حديثة، بدءًا من حظيرة التربية وهي المكان الذي توجد فيه الأعشاش وأوعية التغذية، وحوض الرياضة حيث يتريض فيه الحمام ويُسمَح له بالتعرُّض لأشعة الشمس ويكون محاطًا بسلك شبك، وممرات الخدمة، وبمشورة بعض الخبراء بتربية الحمام أوضحوا له أن أغلب حظائر الحمام تأخذ الاتجاه الجنوبي الشرقي وهذا يُتيح للحمام الفرصة الكاملة للاستمتاع بالشمس أغلب الأوقات. وقد راعى أن يكون المبنى مجهزًا بحيث يسمح له بحرية الدخول والخروج وأداء العمليات اليومية بكفاءة ويسر، وقد احتوت حظيرة التربية على مجموعة من الأعشاش فى شكل صفوف تقابل الحائط الخلفي وتستخدم كمكان لمبيت الحمام، وقد زود الحوش بمجاثم يستريح عليها الحمام، كما أعد في الحوش أرصفة للهبوط وهي عبارة



Twitter: @ketab_n

عن ألواح خشبية تثبت في الجوانب ويستقر عليها الحمام في أوقات الراحة، وقد قام بتغطية السقف بطبقة عازلة ومانعة لتسرب المياه، مع وضع واجهة مصنوعة من شرائح خشبية بينها مسافات تسمح بمرور الهواء، الأمر الذي يساعد على تجديد الهواء بالحظيرة، كما تساعد على إضاءة الحظائر، وخصص في الثلث العلوي من واجهة الحظيرة حافة للهبوط وهي التي يهبط عليها الحمام عند عودته من الطيران، وقد جهز الحظيرة بإضاءة كافية، ومجموعة من المعالف والمساقي وأحواض الاستحمام.

لم ينقل دخيل جميع الحمام والطيور إلى الاستراحة، بل فضَّل أن تبقى حظيرة بيت الصالحية كما هي، مع تخصيصها للحمام النادر والغالي الثمن، مع بقاء مركازه الخاص الذي أصبح يرتاده في المساء فقط، أما في الصباح والعصر فغالبًا يكون في الاستراحة التي بنى فيها خيمة شعبية ووضع فيها تلفزيونًا وجهاز استقبال فضائيًّا بقنوات متعددة ومفتوحة.


Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**مقدارُ ما أعرفُهُ عنكَ**

**لا يُساوي مُطلَقًا**

**مقدارَ ما أسمعُهُ عنكَ**

## (34)

أحـبَّ دخيّـل الحمـام كثيـرًا، هذا الحب جعله يتعرف على فئات مختلفة من الناس، فذات يوم أخبره أحد الأشخاص من الذين سبق أن أشـترى منهـم بعـض الحمـام النـادر ومـن ضمنها حمـام نفاخ، أن لديه زوجًا من الحمام النادر سـوف يحضره للاسـتراحة فترة الظهر، طالبًا منه أن يبلغ العامل الذي يقوم بحراسـة الاسـتراحة للسَّـماح له بإدخال سيارته داخلها حفاظًا على الحمام، ومن ثم إغلاق بابها، فأخبر الحارس بذلك، وواعده بأن يأتي بعد صلاة العصر لمشاهدة الحمام



Twitter: @ketab_n

ومن ثَم التفاوض على سعره.

هوسـه بالحمام وشـوقه لمعرفة نوع الحمام الذي أحضره ذلك الرجل جعله يطلب من زوجته سعاد الاكتفاء بالقهوة والتمر، وسيتناول الطعام بعد عودته من الاستراحة في المساء.

يطير الحمام ويرفرف داخل أبراجه، بينما باب الاستراحة الكبير يفتح مصراعيه إيذانًا بدخول سيارة نقل صغيرة، يغلق الحارس الباب، يترجل الرجل من السيارة ويخاطب الحارس قائلاً: اذهب إلى غرفتك سأستريح داخل الخيمة حتى يأتي دخيّل في العصر «ويُعلي صوته قليلاً قائلاً: أنا لا أحب الإزعاج، لدي ساعة قبل العصر أريد أن أرتاح فيها داخل الخيمة».

تُوصَد الأبواب ويعمُّ الصَّمت، يتأكد الرجل أن الحارس ذهب إلى غرفته التي يفضي بابها إلى الخارج، يفتح باب سيارته ليأذن لمرافقه بالنزول قائلاً له: لا تخف لا يوجد أحد!

يجلسان بجانب بعضهما في الخيمة.

يسأله: تريد أن تأكل شيئًا أو بعد؟

لم يجبه مرافقه الذي طأطأ رأسه مبتسمًا.

يقضي الحمام حياته في أزواج ولكن عند حدوث اختلال في عدد جنس عن الآخر كأن يتفوَّق عدد الذكور على عدد الإناث أو العكس، فهناك تزايد احتمال اشتراك فردين من الحمام من نفس الجنس في عش واحد، ويمكن اكتشاف ذلك من بعض الشواهد مثل وجود أربع بيضات في عش واحد، وهذا يعني أن هناك أنثيين في العش، أو خلو العش من البيض ويعني ذلك وجود ذكرين في العش، وإذا كان هناك بيض مخصب فيمكن وضعه في العش الذي


Twitter: @ketab_n

يحتوي على ذكرين حيث يمكن أن تتولى الذكور حضانة البيض ورعاية الصغار.

في تلك الخيمة كانت الأنثى غائبة وكان الحضور للذكر، ذلك الرجل أضاف إلى متعة تربية الحمام متعة غريزية، حقق فيها توقه إلى مثله، كان يحرص على الحمام النادر، وكان أكثر ندرة شبيه رفيقه في الخيمة الذي رضي بأن يكون هو مكمن المتعة له، يشعر ذلك الرجل بأنه امتداد لأصحاب الغلمان، ويؤكد أن تلك الممارسة ممتعة، لأن هنالك من هو جميل ويستحق أن يكون متنفسًا لكل من هم مثله، يفضلون متعة لا وجه لها مطلقًا، والقفا هو الأصل، متعة يقرر أن يتنازل فيها الشخص عن دوره الطبيعي ليتحول إلى دور ممسوخ، يكون فيها الأنثى الذي يلاطف صاحبه، يتمسح به، يدلك جسده، يفجر حمم براكينه المتفجرة، يهيئ نفسه للوضع الذي يريح صاحبه ليمتطي صهوته، لينطلق به في سباق لا جمهور له، المسافة فيه تحدّدها قدرة الجسدين على خلق حوار يبدأ من حيث الانتهاء، انتهاء يرتبط بكل ما يتخلص منه الجسد من فضلات، قد ينتشي ذلك الرجل وهو يرى رفيقه الذي يصغره بعدة سنوات يتهيّأ له.

لم تكن هذه المرة الأولى لذلك الرجل جالب الحمام وقطعًا لن تكون الأخيرة، يتذكر أنه منذ دخوله عالم الاحتلام أراد أن يفرغ شحناته الجسدية، بحث عن جسد امرأة، لم يجد، تخيّلها كل شيء لين ولدن يريحه من ذلك السائل المتراكم الذي جعله يبتعد عن الآخرين، لم يكن هو الوحيد الذي يعاني من ذلك الامتلاء، ثمة آخرون تقاذفتهم الأمواج، البعض وجد شاطئه خارج الحدود فأدمن السفر، وهو قذفت به موجة بعيدًا ليجد نفسه مع مثيله، كانت تجربته



Twitter: @ketab_n

الأولى مع مثيل شجعه بأن يكون إيجابيًا وسلبيًا في آن، كانت تجربة تكررت كثيرًا، ومن ثم بدأ يسلخ من جسده إطار السلبية ليكون موجبًا فقط، وليجد من يرتضي أن يكون سالبًا فقط، ساعده حاجة أولئك السلبيين إلى النشوة والهلوسة، فأصبح دائمًا يحمل الطُّعم ليصطاد السمك، كان الطُّعم هو حبوب الهلوسة، النشوة التي يبحث عنها جعلته يتعرف على ثقافة العالم السفلي وعالم المخدرات وطرق تجهيز العرق، وذلك المرافق الذي وافق على الامتطاء ببضع حبوب الهلوسة ربما لا يعرف الكثير عن الحبوب التي يتعاطاها، أما هو فيعرف أن من تلك الحبوب الكبتاجون، الذي عرف بشكله وعلامته المميزة المرسومه عليه، وهو قرص أبيض اللون مرسوم على أحد وجهيه منحنيان متقابلان، والوجه الآخر مشقوق من منتصفه، وأحيانًا يكون لونه بني الشكل بنفس العلامات، ربما لديه بعض المعلومات بأن الكبتاجون يعتبر من العقاقير النفسية التي استخدمت في المجال الطبي لحالات الاكتئاب، وبسبب سوء استخدامه فقد أصبح من العقاقير المحظورة والمدرجة بجداول العقاقير النفسية. وبخبرته فقد استخدم أسماء الكبتاجون الشائعة والمتعارف عليها بين المدمنين والمروجين، ومنها أبو ملف، وملف شقراء، والأبيض، وأبو داب، ودفني، وداتسون، وبيضاء، وقشطة، وأبو قوسين، وأبو مسحة.

لم تكن حبوب الهلوسة هي فقط الطعم ولكن ثمة بعض الرفقاء يقبل أن يكون سلبيًا طيلة عمره، ذلك الرجل كغيره ممن وجد في الحمام ضالته ليحلق فوق الأجساد، عرف أن استراحة دخّيل مكان مناسب للاستمتاع بذلك الصيد الثمين، أغراه ذلك الهدوء الذي يحيط بها، وجعله يشعر بالأمان فلا عيون متلصّصة، ولن يخاف من مجيء



Twitter: @ketab_n

أحـد فجـأةً، حيـث تأكـد أن دخيّـل يفضل المقيل فـي بيته بالصالحية، وقبل كل ذلك وبعده الأمر لا يتطلب وقتًا طويلاً، يكفيه بركان واحد يفجـره، وعندهـا يغـادر مـع ذلـك المرافق المكان، وثمـة أعذار كثيرة قـد يقولهـا لدخيّـل عندمـا يأتـي بعد صـلاة العصر ولا يجده ولا يجد الحمام، أبسطها بأن صاحب الحمام عدل عن بيعه، أو أنه اكتشف أن في الحمام مرضًا فقرر أن يعيده إلى صاحبه، كان ذلك الرجل حريصًا على ألا يبقى طويلاً في الاستراحة، حتى إنه قرر أن يغادر الاستراحة لتناول الغداء في مطعم الرز البخاري الذي يقبع في آخر الشارع.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**أحاولُ أن أراكَ**

**منذُ مدَّةٍ طويلةٍ وأنا أحاولُ**

**أملاً بأن أراكَ**

## (35)

اعتاد دخيّل أن يوقف سيارته أمام بوابة الاستراحة، ويستخدم بابًا صغيرًا يفضي إلى داخلها، قابله الحارس ليقول له إن صديقه بالداخل نائم، لذا فقد حرص على التسلل بهدوء حتى لا يتسبب في إيقاظ صديقه الذي أخبره بأن لديه حمامًا نادرًا سيجلبه لاستراحته، هوسه الذي تنامى في حب اقتناء النادر من الحمام جعل قلبه يخفق بعنف وهو يشاهد سيارة النقل الصغيرة داخل فناء الاستراحة وبجانب حظيرة الحمام، لم يلمح أقفاص حمام داخل السيارة بل سمع تأوهًا



Twitter: @ketab_n

داخـل الخيمـة، لصوتيـن أحدهمـا ناعـم يتألم والآخـر صوت صاحبه جالب الحمام، كان باب الخيمة مغلقًا وثمة فرجة صغيرة يعرفها دخيّل تتيـح مشـاهدة مـا بداخـل الخيمـة دون أن يلحـظ ذلـك أحـد، كاد أن يصرخ عندما لاحظ ذلك الصاحب في وضع مريب مع غلام يصغره بسنوات، تمالك نفسه وابتعد دون أن يحدث صوتًا، وخرج بهدوء من الاستراحة، وطلب من حارس الاستراحة أن لا يخبر الرجل بمقدمه.

استـقلَّ سـيارته وقفل عائدًا إلى بيته، لا يدري لماذا قرر الهرب والابتعاد عن ذلك المشـهد، تمنى لو أنه اقتحم خلوتهما، ولكن من سـيصدقه لو وشـى بذلك الرجل! سـيقول بأنه متواطئ معه وقد أتاح لـه المـكان مـرات عديـدة، ذهنه المشـتَّت وقتها جعله يسـلك الطريق الدائري الجنوبي ويقترب من المخرج المؤدي إلى حي الشفا، قرر أن يعود إلى الاستراحة، كان مضطربًا، هل سيوسعهما ضربًا، أم سيقايضه بالتستُّر عليه ويستغل شذوذه، ويحصل على ما يرغبه من الحمام النادر! هـو يعلـم أنـه لـن يغويـه ذلـك المرافق مهما كانـت جاذبيته، لم يتعود على استقبال القفا، وقد زاد من نفوره ما أخبره أحد أقاربه من عائلة الضبادي عن انتشار الإيدز للشاذين جنسيًا، فمن المستحيل أن يرضخ لنـزوة الشذوذ، تذكر خدعة ذلك الرجل له ووعده بجلب حمام نادر، وها هو يحوّل استراحته إلى مبغى.

شعر بالغضب عندما استرجع منظرهما في الخيمة، تمنى لو لم يغـادر بهـدوء وقـام بإفسـاد تلـك المتعة الشـاذة، الطريق طال بازدحام السـيارات بالدائري الجنوبي، حادث شـاحنة مع سـيارة صغيرة عطَّل السير لأكثر من نصف ساعة، كل واحد على عجلة من أمره.

توقع دخيّل أن صاحب السيارة الصغيرة قد يكون في طريقه لبيته



Twitter: @ketab_n

بعد عمل حكومي رتيب، ربما يرغب الوصول إلى بيته قبيل صلاة العصر ليتناول الغداء ومن ثم يقضي فترة القيلولة عصرًا، ليستيقظ ومن ثم يتجه إلى إحدى الاستراحات أو المقاهي مساءً يفرغ شحناته الانفعالية ويمارس السهر في مدينة لا تعرف متعة السهر.

أما سائق الشاحنة فبكل تأكيد يريد أن يبتعد عن ذلك الزحام ليمارس السير على رتابة السواد أمامه.

مدينة الرياض لا تعرف الرتابة، تتغير دومًا، تتكاثر فيها الأشياء، البيوت، والسيارات، والبشر، مدينة تحفل شوارعها بعروض من أرجاء العالم، الناس، والبضائع، والمتاجر العالمية، والمطاعم، وحتى السيارات التي تمشي عبر أربعة مسارات في الطرق الدائرية حولها.

بخبرته استطاع دخيّل أن يخرج من زحام الدائري ليتجه إلى طريق الخرج شمالاً، ومن ثَم يسلك مجموعة من الشوارع المؤدية إلى المخرج السابع عشر على الدائري الشرقي ليصل إلى استراحته بعد قرابة الساعة من مغادرتها.

قابله حارس الاستراحة الذي أخبره بأن صاحبه غادر المكان قبل دقائق، لم يتطرق الحارس إلى وجود مرافق مع ذلك الرجل، دخل استراحته وبحث عن حمام جديد في الحظيرة فلم يجد، ذهب إلى الخيمة وجد أعقاب بضع سجائر في المنفضة في وسط الخيمة ولا أثر غير ذلك لهما، قرر أن يتصل به عبر هاتفه النقال فجاء صوت صاحبه معتذرًا لمغادرة الاستراحة بسبب ما لاحظه على جوز الحمام من أعراض مرضية خاف أن تنتشر بين الحمام وقرر إعادته لصاحبه، وقد وعده بجلب حمام آخر للاستراحة قريبًا، وللمرة الثانية كان سلبيًّا فلم يخبره عن ذلك المشهد المزري، ولكن شعر باطمئنان لكونه لم


Twitter: @ketab_n

يلحـظ قدومـه إلـى الاسـتراحة، لـذا فقد توقع أن يعـاود الكرة بجلب آخرين حين توفرهم، ليمارس متعة باسم حمام يرمز للدَّعة والسلام.

تمنـى لـو كان لجـده دخيـل اللـه القدرة علـى التفكير والتحدث لأخبره بالحادثة، وتمنى أن تستوعب زوجته الأمر ربما تساعده على اتخاذ قرار، ذهب إلى مجلس الرجال الكبير، كان يتوقع وجود والده وعمـه عليـان عنـد جـده، ولكنه فوجئ بوجود راشـد، قابله بالترحيب طالبًا من زوجته سعاد إعداد القهوة والشاي لأخيها راشد.

تحدثا عن أمور مختلفة من بينها حال خالته حمدة التي داهمها الضغط والسكر بعد حادثة ابنيهما، بعد ذلك وعندما تأكد من مغادرة سعاد مجلس الرجال، أخبر راشد بما حدث في الاستراحة طالبًا منه مساعدته للتصرف بصورة جيدة لا تسـيء له ولا تؤثر على سـمعته كمربّ وبائع للحمام، سأله راشد إذا كان ذلك الرجل صديقًا خاصًا لـه ولا يريـد أن يتسـبب لـه بضـرر، فأجابـه بأنه من الأشـخاص الذين تعرف عليهم خلال بيع وشراء الحمام ولا يعرف عنه شيئًا.

بعد سماعه القصة طلب راشد من دخيّل أن يدع الأمر له، ووعده بأنــه لــن يتضــرر مطلقًــا، طالبًـا منه أن يخبره مباشـرة عندما يطلب منه ذلك الرجل المجيء للاستراحة جالبًا معه بعض الحمام، حينها نظر إلى جده قائلاً له: «عائلة الضبادي بخير يا يبَّه».

يعلــم أنــه لــن يجيبـه بكلمـة، ولكن قد يشـعر بوجود حفيدين له تصالحا بعد صراع وصل إلى مركز الشرطة وأصبحا على قلب واحد، لذا فقد فوَّض راشد بأن يتصرف وفق ما يراه مناسبًا.

«صادق، عائلة الضبادي بخير، يا يبَّه» قال ذلك راشد وهو يلمح في عيني جده بريقًا خاصًّا، قد يكون بقايا دمعة، كان الممرض الشرق



Twitter: @ketab_n

آسيوي قد أحضر علبة عصير خاصة تحتوي على مجموعة من المواد الغذائية والفيتامينات ليتناولها الجد بواسطة مصاص صغير، وضعه في فمه وبدءا يراقبان جدهما وهو يمتص ما بداخل العلبة ببطء شديد، كان الممرض قد وضع يده خلف رأس دخيل الله ليسهل عليه شرب ذلك العصير، وليمسح بعد ذلك القطرات التي تتسرب من جانبي فمه.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**حمامةٌ عشُّها صغيرٌ**

**وضيعٌ متهالكٌ**

**حمامةٌ عشُّها بَنَتْهُ**

**ليتَّسِمَ بالوَضَاعَةِ ويَتَهَالَكَ**

## (36)

حينما بدت علامات التديُّن تتضح على ملامح وتصرفات أحمد وإبراهيم شعر راشد كثيرًا بالراحة وشجَّعهما على المشاركة في بعض الرحلات خارج الرياض وحضور بعض المحاضرات، كان يخاف عليهما من الانحراف والوقوع في أوكار الشاذين ومتعاطي المخدرات، كانت أمنيته أن يبقيا في منطقة الوسط، وفي المدرسة عندما يقف أمام الطلبة متحدثًا كان يردد البيت الشهير:



Twitter: @ketab_n

"إنَّ الفـراغَ والشَّـبابَ والجـدة مَفسَـدَةٌ للمَـرءِ أيّ مَفسَـدَة"

كان يعلم أن طلبة المدرسة الابتدائية التي كان يديرها لا يعرفون مـاذا يعنـي ذلـك البيـت، ولـم يصلـوا بعد لمرحلة الشـباب، وقد كان سعيدًا عندما شارك في ندوة عقدتها إدارة التعليم عن معالجة الفراغ لدى الشباب، كان ذلك قبل حادثة ولديه، وقتها طالب بإيجاد أماكن ترفيهية للشباب والبحث لهم عن مهن وهوايات يفرغون فيها طاقاتهم بدلاً من تضييع الوقت بالتسكُّع في شوارع الرياض، وارتياد المقاهي المنتشـرة بصـورة غيـر صحيـة وبالـذات عند محطـة الفحص الدوري للسيارات بطريق الرياض الدمام السريع، صوته خبا كثيرًا بعد حادثة ولديه،كانت صدمته الكبرى عندما شعر بعدم قدرته على إنقاذ ولديه اللذين فقدهما بسـبب عدم معرفته بالطريقة التي عالجا بها الشـباب والفراغ والجدة في حياتهما لكي لا يقعا في المفسدة.

لقد كان خلف ولديه مجموعة من الرجال استطاعوا أن يكونوا شخصية خاصة لهما تختلف عن النسق المألوف، ربما يتقبَّلها المجتمع للصبغة الدينية التي تطغى عليها، لكن خلف ذلك نظرة سوداوية إلى الزمـن المعـاش، لـذا فقـد كان الطمـوح يكمـن بالبحث عن نعيم دائم وحور عين، كان أولئك الرجال يزرعون في أعماقهما الإحساس بأن الجميع على خطأ، وهم فقط يعرفون ما هو الصحيح.

كان صدر راشـد صحراء هبَّت عليها رياح شـتوية باردة فكادت أن تجعلها جرداء مقفرة، بحث عن مطر فكان بارقة الأمل له السعي فـي إنقـاذ مـن يشـرف علـى الهـلاك، فقـد كان يبـادر فـي البحث عن الأخطـاء فـي تربيـة الأبنـاء ويسـاهم فـي إيجـاد حلول لها، سـاهم في



Twitter: @ketab_n

عـدد مـن المؤسسـات الخيرية التي تهتـم باللقطاء والأيتام والأحداث ممن يقترفون جرائم صغيرة، كان لا يشك مطلقًا أن وراء كل حدث ظـرف خـاص أو غـواة، لـذا فقـد كان صارمًـا في فضـح أولئك الغواة وتعريتهم أمام المجتمع.

عندمـا أخبـره دخيّـل بحادثـة الاسـتراحة قرر أن يتابع المشـكلة، أخبر صديقًا له يعمل في الأمن الذي وافق على مداهمة الاسـتراحة عنـد اختـلاء الرجـل بغـلام آخر، كان ينتظر اتصالاً من دخيّل، وتحقَّق له ذلك.

ذلك الرجل جالب الحمام استمتع كثيرًا بصحبة ذلك المرافق، كان المـكان مريحًـا جـدًّا لـه ولمـن يُحضره معه، وها هو الآن يجلب صيدًا جديدًا، مرافقًا صغيرًا ملامحه أنثوية، من أسـرة موسـرة، كانت متعته أن يكون سـالبًا فقط، لذا لا يحتاج مطلقًا أن يبحث عن طُعم ليقدّمه له، فقط يُغريه بشـعره الكثيف على جسـده وخشـونته، ولكن الأمر الذي فكر فيه بجدية ذلك الرجل هو هل يتقبل دخيّل عذر عدم جلب الحمام مرة أخرى! أيقن أن عدم جلب الحمام سيُدخله في دائرة الشك، ولكي يخرج من هذه الدائرة عليه أن يبحث عن حمام نادر فعلاً ليجلبه معه ويبقيه في الاستراحة عند مغادرته مع المرافق للاستراحة، لذا قرر أن يجلب زوجًا من السـلالة الفاخرة من الحمام البلجيكي، حدَّد ذلك الرجل موعدًا مع مرافقه الجديد وجلب معه الحمام واتصل بدخيّل يخبره بتوفر حمام نادر لديه، ولزيادة التمويه طلب منه أن يقابله في استراحته بعد صلاة الظهر لمشاهدة ذلك الحمام، كان الرجل يقول ذلك لدخيّل عبر الهاتف المحمول وهو يتمنى من أعماق قلبه أن يعتذر عن المجيء ليستمتع بمرافقه، وهذا ما حدث عندما أخبره دخيّل بعدم



Twitter: @ketab_n

قدرتـه علـى المجـيء لاضطراره للذهاب إلى الخرج لحضور مناسـبة عائلية، شـعر ذلك الرجل بالسـعادة واتجه مُسـرِعًا للاسـتراحة بصحبة ذلـك المرافـق الجديـد والحمـام، أدخل سـيارة النقـل الصغيرة، وكرر ما قاله سابقًا لحارس الاستراحة برغبته في النوم قليلاً داخل الخيمة حتـى أذان العصـر، طلـب منـه وضع قفص الحمام الذي جلبه بجانب الحظيرة، والذهاب إلى غرفته وعدم إزعاجه، لمح الحارس الفتى ذا الجسـد الأنثوي، وغادر مسـرعًا الاسـتراحة مغلقًا الباب الكبير، ليتجه إلـى غرفتـه التـي كان يوجـد بهـا راشـد مـع بعض رجـال الأمن، ومن ثَم جاءت سـيارة شـرطة لتسـدَّ الطريق لكي لا يهرب الرجل بسـيارته، تسـلل الجميـع بهـدوء إلـى الداخـل، كان باب الخيمـة مغلقًا،وصوت التأوه الناعم والخشن يتصاعد مع هديل الحمام.



Twitter: @ketab_n

**قِفْ هنا وضَعْ نقطةً**

**لتبدأ سطرًا جديدًا**

**ليكُن السَّطرُ كلهُ نقاطًا دونَ فواصل**

## (37)

العلاقة بين سويّر النسيجان وحمدة منقطعة منذ سنوات طويلة، وابتعاد سويّر عن العائلة أراح حمدة كثيرًا، لذا فلم تتأثر مطلقًا بعدم مجيئها للتعزية بعد موت ابنيها، أو على الأقل الاتصال الهاتفي، ولكنها تمنت لو أن سويّر اكتفت بالابتعاد وهجر العائلة، ولكن أزعجها كثيرًا قول سويّر ذات يوم لبعض صديقاتها: «إن حمدة أم الإرهابيين».

حينها غضبت كثيرًا وقررت أن تذهب وتلقمها حجرًا، لكن راشد طلب منها الترفُّع عن ذلك وتفويض أمرها إلى الله.



Twitter: @ketab_n

بكـت حمـدة كثيـرًا قهـرًا لموقفها الضعيف وتمنَّت لو عاد الزمن بضع سنوات إلى الوراء لأغلقت على ابنيها بقفص من أضلعها.

تعوَّذت حمدة من الشيطان، وتراءت لها صورته يحمل كثيرًا من ملامح سويّر بشعرها الأقرب إلى الحُمرة لتعدد الصبغات التي تحاول فيها أن تتخلص من سـنوات جعلت شـعرها أبيض مع ملامح أقرب إلى السُّـمرة لامرأة في سـن اليأس، كانت حمدة تتعوذ من الشـيطان كثيرًا، وتدعو لابنيها بالرحمة والمغفرة.

بدأت تحرص على الجلوس مع أختها أمينة زوجة مانع وسبيكة والدة زوجها، إضافةً إلى أم محمد المصرية الزوجة الثانية لمانع، كانت تطلب من أم محمد عدم نقل الكلام أو الأخبار عن سـويّر، وتتعوذ من الشيطان عند ذكر اسمها.

حمدة المملوءة حدَّ الثمالة بكراهية سـويّر لم تدر نوع الشـعور الذي ألـمَّ بها عندما جاءها راشد بعد حادثة الاستراحة مباشرةً ووجهه مكفهر، وأخبرها أن الشرطة ألقت القبض على طارق ولد عاشق وهو في وضع مزر في الاسـتراحة. قالت حمدة: طارق ولد سـويّر، أسـرة الضبادي كلهم رجال ولا مكان لشبيه طارق!

الـذي أراح راشـد فـي قسـم الشـرطة أن المرافـق لذلـك الرجل أخبرهـم أن اسمه طارق العاشق، الأمر الذي أبعدهـم عن دائرة العيب.

تركهم في قسم الشرطة موضحًا لصديقه رجل الأمن أن مهمته انتهت، وعاد مباشـرةً إلى بيته، مسـترجعًا صورة ابنيه أحمد وإبراهيم، قائلاً: «ليرحمكما الله أيها الرجلين»، وقتها بكى كثيرًا على وضع خاله عاشـق، وموقفه عندما يأتي لقسـم الشـرطة ليكفل ولده، ماذا سـيقول لهم «أمه أرادت أن يكون من الجنس الثالث»؟



Twitter: @ketab_n

هل سيقول هذا من أحفاد دخيل الله الضبادي؟ ذلك الرجل القابع على سرير ليس به شيء حي إلا قلبه الذي ينبض وعينين تحاولان استيعاب زمن يتغير كل يوم.

شعر راشد أن الأمر لا يمكن السكوت عليه، أخبر زوجته، ومن ثَم أخبر خاله مانع، ولولا خوفه على والده عليان وقد أو شك أن تتحسن صحته من جراء الجلطة التي أصيب بها لأخبره بالأمر.

دخيّل امتزج غضبه بالبكاء وهو يقول: «يفعل فينا باستراحتي وبموافقة مني!» حاول أن يتذكر المرافق الأول، تأكد أن ملامحه لا تشبه مطلقًا ابن عمه، تساءل كيف تعرف عليه، هو يعرف أنه الوحيد من العائلة الذي يهتم بتربية الحمام، أراد أن يتصل بعمه عاشق، ولكن خاف من سويّر النسيجان لأنها بكل تأكيد ستتهمهم بإيقاع ابنها في براثن ذلك الشاذ، لذا قرر أن ينسى الأمر تمامًا، وكأن شيئًا لم يكن.

وعندما سأله بعض باعة الحمام عن الحادثة قال أنه فوجئ بها مثلهم تمامًا، وأقسم بالله أنه لم يبلغ الشرطة، ولكن بالمقابل أكد لهم أن ذلك الرجل كان مصدر شبهة وقد راقبه رجال الأمن بعد عدة بلاغات عنه، بالذات اتهامه بتسويق بعض المخدرات والمنشّطات، وعلاقاته المشبوهة مع بعض الشباب الناعم الذي يميل أن يكون من الجنس الثالث أو ما يُطلق عليهم في أوساط الرياض «الخكاري».

تلك الحادثة جعلت دخيّل حذرًا في علاقاته مع الآخرين، فلم يسمح لأحد بالذهاب وحيدًا إلى استراحته، وخصص المركاز في سطح بيت الصالحية لاستقبال بعض الأصدقاء الخاصين والذين يثق بهم كثيرًا.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**ارسُمْ حمامةً**

**ودَعهَا تحلّق بعيدًا**

**تأمَّل الورقةَ وهيَ تطيرُ**

## (38)

على الرغم من مرور أكثر من ربع قرن على ولادة سويّر النسيجان ابنها البكر مازن، لكن من النادر أن تكنَّى بأم مازن، بل هي تسعد عندما ينادونها باسمها مباشرةً، أو مبدوءًا بالسيدة أو الأستاذة، وكم تمنت كثيرًا أن يُقال الشيخة سويّر.

قوتها تنبع من شخصيتها، والجميع تابع لها، بدءًا بزوجها عاشق وانتهاء بأصغر عامل لديها، والبقية لا شيء، حتى دخيل الله الضبادي والد زوجها والذي من المفترض أن تكنَّ له بعض التقدير، كانت تنظر



Twitter: @ketab_n

إليه في البدء كرجل كبير تتكرم عليه بالجلوس لدقائق قليلة والتحدُّث معه، أما «فطيمة» التي يقول لها الجميع يمَّه، حتى زوجة مانع وزوجة الدكتور نوح الأمريكية سيتا، فقد كانت سويّر تناديها بأم مانع، حينها لم تغضب الجدة فطيمة وتوقَّعت أن ذلك من أعراف عائلتها، واكتفت بأن تقول التقدير بالصدور. وحقيقة كانت سويّر تكنُّ ليمَّه فطيمة أو كما تسميها أم مانع كثيرًا من التقدير لصفائها وإنسانيتها وحبها للجميع.

سويّر النسيجان لاحظت نعومة ابنها طارق الزائدة وأحبَّت فيه تلك الوسامة التي تبعده كثيرًا عن عائلة الضبادي، لذا منحته حرية التصرف بعيدًا عن والده الذي حرصت على أن تشغله بالتجارة والأعمال والسفر حتى لا يفكر بالزواج من أخرى، أو يقترب من عائلته ويجدد علاقاته معهم. لذا فلم يكن عاشق موجودًا فعلاً في بيته ولم يلحظ وضع ولده الذي أحبه في البدء لإحساسه بأنه يذكّره ببداية حياته عندما كان يهتم بنفسه وبأناقته، أما مازن فأغرته عاصمة النور بالبقاء فيها ليكون علاقة مع امرأة فرنسية تهتم بالشرق وتدرس التغيرات الحضارية في جزيرة العرب.

طارق أو «توتو» كما تعرفه أوساط الشباب عاش حياةً خاصةً جدًّا، فمنذ صغره وهو الابن المدلل لوالديه، جاء بعملية قيصرية بعد مازن ورحاب وعدد من الأجنة التي لم تكتمل أسقطتها سويّر، لتدرك فيما بعد أن ذلك الحمل هو الأخير، وليكون طارق آخر العنقود المدلَّل، خافت عليه كثيرًا وخصصت له مربية أخلصت كثيرًا في عملها فأحبته وبدأت تهتم بنظافته وأناقته، وبرغبة من سيدتها سويّر لم تسمح له باللعب مع الأطفال حتى لا يصاب بالأذى، اختارت له بعض الألعاب الهادئة التي غالبًا تلعبها البنات الصغيرات، عندها شعر بميل



Twitter: @ketab_n

لأن يشاركهن اللعب فتقبلن ذلك ببراءة، لا سيما وأن ملامحه الجميلة وشعره الطويل وأناقته تجعله قريبًا منهن، وعندما كبر اقتصرت علاقته بعدد محدود من أبناء الطبقة الراقية الذين يماثلونه بالسلوك، إضافةً إلى أن سفر عائلته الدائم لخارج المملكة جعله يكوّن علاقات مع مجموعة من الفتيات لتتوسَّع علاقاته بعد ذلك بعدد من المثليين، ولتكون له تجاربه الأولى الشاذة، كان صوت الرجل واهيًا في داخله، يقمعه إحساسه الأنثوي دائمًا. بدأ يغار من أخته رحاب لكونها فتاة طبيعية، تحتاج الرجل كنوع من التكامُل، ثمة إحساس بالنقص، الفتيات يحلمن به والرجال كذلك، وعلى الرغم من ذلك يرغب أن تكون علاقته بالفتيات من باب الصداقة، أما الرجال فهنالك من يستحق أن يكون صديقًا له يمارس معه متعة اقتناء السيارات الفاخرة، وصعود الكثبان الرملية بالسيارات ذات محركات الدفع الرباعي أو ما يتعارف عليه في الرياض بالتطعيس، كان لا يجد مشكلة في الحصول على سيارات جديدة حيث توفرها له أمه سويّر، أحد أصدقائه أحب تربية الحمام، بحث عن بعض الحمام النادر ولكن كان المقابل صعبًا، فلكي يصل إلى الحمام لا بُد أن يطأطئ رأسه، ويرضخ لرجل يهبه الحمام بخلوة خاصة، حدَّثه صديقه عن ذلك فوجدها مغامرةً، لا علاقة لطارق بالحمام مطلقًا، ولكن بعض الرجال يتسمون بخشونة خاصة وشعر كثيف يغطي أغلب أجسادهم، أمر يُغريه كثيرًا، لا سيما وأن هيئته بعيدة كل البعد عن الخشونة، صديقه عرفه بذلك الرجل، مقابل ذلك حصل على هدية جوز من الحمام القلَّاب، شعر ذلك الرجل بأن «توتو» صيد لا يقدر بثمن، ويحتاج إلى مكان خاص فكانت الاستراحة.

لم يكن طارق يعي خطورة المغامرة، فهو الآن سلبي مع رجل



Twitter: @ketab_n

لا يعرف مطلقًا إلا أن يكون الفارس الذي يمتطي صهوة كل جسد يغريه جسده الخشن ذو الشعر الكثيف.

مغامرة طارق تلك قضَّت مضجع سويّر النسيجان التي استخدمت كل السبل لكي تغطي على فضيحة ابنها، ليس خوفًا من العار بقدر الخوف من أن يصل الخبر لأحد من أسرة الضبادي، وقد حمدت ربها كثيرًا عندما خرج ابنها بكفالة في الوقت الذي كان فيه عاشق بن دخيل الله الضبادي في القاهرة للتعاقد مع بعض الفنيين للعمل في إحدى مؤسساتها، لذا فقد حرصت كثيرًا على التكتم على الحادثة، وهذا جعلها لا تسأل عن صاحب الاستراحة أو عن اسم الرجل الذي وجد بجانب ابنها، وقد كان قرارها الأول البحث عن إحدى المدارس العسكرية في الخارج ليتعلم أصول الرجولة، وهذا ما أثار استغراب عاشق بعد عودته إلى الرياض، ولكنه كعادته رضخ لأمرها دون معرفة السبب.



Twitter: @ketab_n

**بعدَما ارتميتُ في حضنكَ**

**سمعتُكَ تقولُ**

**لماذا كلُّ هذا الرّيشِ على جسدِك!**

## (39)

لم تستوعب سعاد حادثة طارق عندما سمعت دخيّل يتحدث عنها مع أخيها راشد، أخبرها دخيّل بهدوء أن هنالك بعض الذكور يرتضون أن يكونوا مثل النساء، وطارق منهم، كانت تتذكر طارق عندما كان صغيرًا، حيث كانت نعومته وأناقته تعجبها كثيرًا، حينها كانت تتمنى أن تنجب شبيهًا له، انتظرت مجيء خالها عاشق لزيارة والده، لتسأله عن حادثة طارق، كان عاشق يسرق دقائق معدودة بعيدًا عن علم زوجته لزيارة والده.



Twitter: @ketab_n

وعندما يسافر إلى خارج المملكة كان يحرص على أن يزور والده بعد عودته من السفر مباشرةً، وهذا ما حدث عندما عاد من القاهرة، اطمأن على والده الذي بقي كما هو، يعيش حالة البين بين، عندها أحس بالراحة فهو لا يزال يبرُّ والده.

وعندما قابلته سعاد فوجئ بسؤالها عن حادثة طارق، وكانت مفاجأة سعاد بأن خالها لا علم له عن الحادثة.

عندها وبحسن نية قالت له: «يقولون إنه تحوَّل إلى امرأة».

هذا الكلام جعله يتذكر مشروع زوجته سويّر ببعث ابنها لمدرسة عسكرية في الخارج لتعلُّم الرجولة، طبطب على رأس سعاد وردَّ عليها بهدوء: «طارق رجل ولا تصدقين كلام الناس».

اطمأنت سعاد كثيرًا بعد ذلك الحوار، بينما أحس عاشق أن زوجته حولته إلى مسخ لا قيمة له مطلقًا، وقتها حرص أن يغادر سريعًا مجلس الرجال الكبير حيث يرقد والده، فمن المؤكد أن ثمة فضيحة كبيرة ستجعله سخرية للجميع.

«ماذا حدث لطارق؟».

أطلق عاشق ذلك السؤال في وجه زوجته سويّر، التي قالت له بهدوء: وماذا سمعت؟

أجابها: سمعت كلامًا يسوّد الوجه.

ومن قال لك هذا الكلام؟

بقيت سويّر هادئةً وهي ترد عليه بأسئلة مماثلة، لذا فقد قرر عاشق أن يختلق مصدرًا للخبر، حيث قال لها أن أحد الجيران هو الذي أخبره بما وقع لابنه، وطلب منها أن تقول له ماذا حدث لابنهما طارق، عندها أخبرته أن أحد الرجال استدرجه بقوة السلاح إلى مكان



Twitter: @ketab_n

خارج مدينة الرياض لفعل الفاحشة به، ولكن لحسن الحظ كان ذلك الرجل مراقبًا فتم القبض عليه وأودع السجن.

هدأ كثيرًا عاشق رغم إحساسه بأن زوجته لم تقُل له الحقيقة، وإلا لماذا قررت أن ترسل ولده إلى مدرسة عسكرية في الخارج ليتعلم الرجولة!

أما سويّر فقد شعرت بتوتر غريب انتابها، فهذه أول مرة تقف موقف المسئول المُحَقَّق معه، وبالذات من زوجها، الأمر الآخر تأكدت من أن هنالك خبرًا تسرب عن حادثة ابنها، وهذا يعني أن الخبر في طريقه للانتشار وسيصل بكل تأكيد لعائلة الضبادي، شعرت بأن التفكير في الأمر سيرهقها كثيرًا، وتمنت لو كانت هناك علاقة تربطها بعائلة الضبادي، لتتمكن من التحدث معهم ومعرفة هل علموا بأمر ابنها، وبعد تفكير طويل رأت أن الأنسب لها هو الاتصال بسعاد لكونها الوحيدة التي لم تدخل في دائرة المشكلات من عائلة الضبادي، ربما بسبب محدودية قواها الذهنية، حددت موعدًا مناسبًا للاتصال بها في الوقت الذي توقعت فيه أن دخيل يوجد خارج المنزل، وغالبًا لا يوجد زوار لدخيل الله الضبادي.

كانت فرحة سعاد باتصال سويّر النسيجان كبيرة، لذا لم تتمالك نفسها لتخبرها بمجيء خالها عاشق لرؤية جدها، وتناقل أهل الضبادي خبر تحول طارق إلى امرأة يتزوجها الرجال، كانت كلمات سعاد كطلقات الرصاص التي اخترقت جسد سويّر لتمزّقه إربًا، أمر ابنها طارق بلغ الجميع، وزوجها الذي كان يقول لها أنه ابتعد عن عائلته لا يزال يقوم بزيارتهم دون علمها.

أغلقت السماعة دون أن تقول إلى اللقاء لسعاد، واتجهت إلى



Twitter: @ketab_n

غرفتها داخلة في نوبة بكاء طويل، بكاء امتزج فيه الحزن والغضب والقهر، الحزن على وضع ابنها الذي أصبحت سيرته تلوكها كل ألسنة الناس، والغضب لممارسة زوجها علاقات مع عائلته دون علمها، والقهر الذي امتزج بكثير من الخوف، بأن يساهم أعداؤها في نشر فضيحة ابنها، وبالذات حمدة التي أطلقت عليها «أم الإرهابيين» فماذا سيكون ردها، هل ستطلق عليها «أم الخكاري» أو «أم المـ...» لم تشأ أن تكمل الكلمة فمجرد التفكير بتلك الكلمة أو بوضع ولدها مع ذلك الرجل يهدم كل ما بنته في سنين عمرها كله ويُنهي هيبة «سويّر النسيجان». بكاؤها لم ينقطع بل تحول إلى عويل وصراخ، ليصل الأمر إلى تحطيم بعض أثاث المنزل، وتمزيق ملابسها.

أحضر عاشق طبيبًا أعطاها بعض المهدئات، وطلب أن تكون تحت المراقبة حتى لا تعود لها الأزمة، اعتذر لها كثيرًا عندما عاتبته بسبب ذهابه لعائلته، وأخبرها أن علاقته فقط بوالده الذي تعرف أنه في شبه غيبوبة بين الحياة والموت، وقال لها أنه «لن يصدق أي مخلوق أي حكاية تُحاك عن ابنها، وسيرد على ذلك بأن تلك من الإشاعات المغرضة التي تُحاك دائمًا ضد الناجحين»، أراحها كلام عاشق وأحست لأول مرة بطمأنينة الزوجة من علاقتها بزوجها، في الوقت الذي بدأ مفعول المهدئ ينحسر لتدخل في دائرة شك من الجميع، فثمة إحساس بأن الجميع ضدها، في العمل والمجتمع، حتى داخل المنزل، ولكي تريح نفسها قليلاً قامت بتغيير جميع العاملين عندها من خدم وسائقين ومدبرات منزل، وكان من ضمنهم من عمل لديها منذ سنوات طويلة، وبعد مدة ليست بالقصيرة قررت تغيير قصرها لتنتقل بعد ذلك للسكن في مدينة جدة بعيدًا عن كل الذين بدؤوا يلوكون


Twitter: @ketab_n

سيرتها في كل بقعة في مدينة الرياض كما كانت تتوقع، ليتفق فيما بعد عاشق مع ابنه مازن الذي قرر الإقامة في باريس أن يؤمّن لها سكنًا عنده حتى تتجاوز أزماتها النفسية المتعددة.

وفي باريس استفزها مناداة بعض المقيمين العرب له باسم «الأستاذ الضبادي» لكي يفرقوا بينه وبين مغترب سوري يدعى مازن، كانت تصرخ في وجوههم طالبةً منهم بأن يطلقوا عليه اسم مازن أو العاشق، وأن لا تسمع مرة أخرى كلمة الضبادي، لم يتوقف الأمر عند ذلك بل بدأت تتابع تحركات ابنها وعلاقاته وتفتح الرسائل التي تصله من السعودية لكي لا تكون من عائلة الضبادي، الأمر الذي جعل مازن يتصل بوالده لكي يوافق على عودتها لمدينة جدة، أو الرياض، ولكن كان عاشق يعرف أن سويّر النسيجان غادرت عقلها منذ زمن، لذا طلب من ابنه مازن وبعد توصية من أخوي سويّر أبناء النسيجان أن يختار لها منتجعًا للصحة النفسية في فرنسا، لم تفقد سويّر النسيجان عقلها تمامًا، ولكن أصبح الآخر جحيمًا تعاني منه في كل مكان وكل زمان، كان لديها إحساس بأن زواجها من عاشق بداية مأساتها، لم يكن العيب مطلقًا بعاشق ولا أبنائها، ولكن ذلك الرداء الذي لا يستطيعون خلعه مطلقًا والذي يجعلهم ينتمون لكوكب آخر لا علاقة لها بهذه الحياة، لذا لم تتخيل مطلقًا أن هنالك من يكون متميزًا أو ناجحًا من عائلة الضبادي، حتى عندما جاء محمد بن مانع إلى باريس ليقابل مازن ابن عمه عاشق وقد كان في طريقه إلى أمريكا لدراسة الدكتوراه في الهندسة، علقت سويّر بعد توبيخ طويل لابنها مازن بسبب مقابلته لذلك العفن كما وصفته قائلةً: أكيد ذهب لدراسة فن الإرهاب.



Twitter: @ketab_n

مـازن أبقـى علاقتـه بعائلـة والـده جيدة ولـم يرضـخ لأوامر أمه، ولكن في الوقت ذاته كان يراعي حالتها النفسية، ولا يحب مطلقًا أن يستفزها، أو يغضبها، وقد تأكد أن مفتاح الغضب هو كلمة «الضبادي»، لذا فقد حاول حذفها من قاموس الكلام المتداول في شقته الصغيرة، ولكن ذات يوم فوجئت سويّر بزيارة للدكتور نوح الذي انتقل للتدريس بإحـدى الجامعـات الغربيـة وكان فـي زيـارة لباريـس، تلك الزيارة لم تكن الأولى، فقد سـبق أن جاء إلى باريس أكثر من مرة وسـكن عند مـازن ابـن أخيـه الـذي كـون معـه علاقة ودّ وتقدير، لم تعرفه سـويّر، عندما طرق باب الشـقة وفتحت له عاملة منزلية ليدخل ويجلس في صالة الاستقبال، كان يتوقع أن مازن موجود، لكنه فوجئ بامرأة ذات ملامح نجدية قدمت بملابس النوم، توقع مباشرة أنها والدة مازن، لذا اعتذر وغادر الشقة مباشرة، تقديرًا لها، ومن ثم اتصل بمازن ليعتذر عن قدومه للشقة دون موعد.

بعد مغادرة الرجل للشقة سألت سويّر العاملة المنزلية عن ذلك الرجل الذي سمحت له بدخول البيت فقالت لها: «إنه الدكتور نوح».

دارت بهـا الأرض، وصعقـت؛ مَـن جـاء بهـذا الضبادي! هي لم تقابله مطلقًا في الرياض، ولـم تقم بتعزيته بعد وفاة زوجته الأمريكية، وليتهـا كانـت مسـتعدة لمقابلـة الغربـاء ولكـن كانت في وضع لا يليق مطلقًا بسـويّر النسـيجان، دارت بها الأرض وبكت، شـعرت أن الشـقة خلت من الأكسجين اتجهت إلى الشرفة لتلتقط الهواء، بقيت الأرض تـدور بهـا، لمحـت امـرأة تضحـك فـي الشـرفة المقابلـة، أومـأت لها بيدها مرحبة، رأت أنها تشـبه كثيرًا حمدة، سـمعت صوت ضحكات حمدة، امتلأت شـرفات العمارة المقابلة بنسـاء الضبادي اللاتي بدأن



Twitter: @ketab_n

يضحكن منها، فتحت النوافذ، كانت تطل على مجلس يشبه إلى حد بعيد مجلس الرجال الكبير في بيت الصالحية، في الركن كان دخيل الله الضبادي جالسًا على سريره يراقبها وهو يضحك، لمحت بعض الرجال تخيلت أن بينهم مانع ونوح وعليان ودخيّل وراشد، ووجوه أخرى تحمل ملامح عائلة الضبادي، شعرت بعريها، تعالت ضحكات النساء والرجال، لمحت بياضًا يحيط بالعمارة، أرادت أن تتدثَّر بذلك البياض، قذفت بنفسها من الشرفة لتسقط الورقة الأخيرة من سيرة امرأة رفضت أن تنضوي تحت مسمى الضبادي تدعى سويّر النسيجان.



Twitter: @ketab_n

*Twitter: @ketab_n*

**نحنُ ثلاثةٌ**

**ربما**

**أنا أو أنتَ مَن في داخِلِه شخصٌ آخر**

## (40)

أصبح عاشق ثالث ثلاثة من عائلة الضبادي ممن فقد زوجته، بعد والده دخيل الله، وأخيه نوح، ذلك الفقد يختلف كثيرًا عنهما، فزوجته طوقته بقيود كبَّلته وجعلت منه مسخًا، حتى إنه ارتضى أن يستبدل اسم أبيه دخيل الله باسم زوجته سويّر، ليبتعد كثيرًا عن عائلة الضبادي.

لقد أيقن أن عودة العلاقة تحتاج إلى زمن طويل، لذا فقد بقي وحيدًا في بيته بمدينة جدة، ابنته رحاب ابتعدت مع زوجها الذي يعمل مديرًا لإحدى القنوات الفضائية إلى لندن، ثم دبي، ذلك الزوج



Twitter: @ketab_n

اختارته أمها سويّر بعناية قبل أزمتها النفسية بسنوات، ومازن فضَّل أن ينتقل إلى حي آخر في باريس، ليتمكن من نسيان حادثة موت أمه، أما طارق فقد غادر المدرسة العسكرية الداخلية في أمريكا ليتزوج أمريكية وليتحول اسمه إلى (توم آش)،ليحصل فيما بعد على حقوقه الخاصة التي يرغبها.

عاشق ذلك الثري ورجل الأعمال قرر أن يستمتع بحياته، لا سيما وهو في سن المراهقة المتأخرة، لذا بحث عن امرأة تجعل منه سيدًا تعتني به وتحقق له رغباته، تزوج أكثر من مرة، وكل امرأة يتزوجها يرى أن ثمة شيئًا لا يعيه تمامًا ينقصها، لذا فلم تستمر كل زيجة أكثر من شهر ليطلقها ويبحث عن أخرى، بعد زمن تمنى لو وجد امرأة تشبه سويّر.

لقد اعتاد أن يكون تابعًا لا متبوعًا، وحين لم يجد تلك المرأة بحث عن المرأة النزوة، تلك المرأة التي ترضى أن يبقيها فترة من الزمن كزوجة له لقاء مبلغ معين، شعر أن مدينة جدة مثل الرياض، علاقة الزواج لا بُد أن تتم وفقَ برتوكولات معينة قد تكلّفه الجهد النفسي وتحرجه اجتماعيًّا، عندما يتزوج امرأة بنيَّة الطلاق دون علمها، لأنه لا بُد أن يصرخ أحدهم في وجهه قائلاً: «إن بنات الناس لسنَ لعبة بيديك لتطلق واحدة وتتزوج الأخرى».

قرر شراء فيلا في منطقة بحمدون بجبل لبنان، إضافةً إلى شقتي القاهرة ودمشق اللتين كانت زوجته سويّر النسيجان تمتلكهما، وقد حرص أن ينقلها باسمه بموجب الوكالة التي أعطتها إياه قبل سفرها إلى باريس، لذا فقد بدأ يدير أعماله التجارية من مقر إقامته المؤقَّت في القاهرة وبيروت ودمشق، التي أضاف إليها فيما بعد تونس والدار



Twitter: @ketab_n

البيضاء، والتي تقلّصت فيما بعدُ إلى مدينة واحدة في تونس، حيث أحسَّ بالراحة عندما قرر الإقامة في مدينة سوسة بعد تعرفه على امرأة تونسية تحمل بعضًا من ملامح سويّر وشيئًا من عنفها وكثيرًا من التعالي، ولكن بكل تأكيد لا تعرف شيئًا عن عائلة تدعى آل الضبادي».



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**حينَ تموتُ**

**دعني أنتزعُ نفسي منكَ**

**قلتَ لي أنني أقطنُ في أعماقِكَ**

## (41)

كان دخيّل يرقب من بعيد ما حدث لزوجة عمه عاشق، وما آلت إليه حياته بعد موتها، ذات يوم كانت أخته خديجة في زيارة لجدها سمعها وهي تتحدث عن عاقبة العلمانيين والملحدين والكفار، موضحةً أن ما حدث لزوجة عمها هو انتحار، وذكرت عاقبة من يقوم بذلك، واختتمت حديثها بقولها: إن الله ليس بغافل عن كل فعل يقوم به البشر خيرًا كان أو شرًا، ومهما حاول أي إنسان أن يختلس أو يكذب أو يسرق ويخفي ما قام به من شر فلا بُد أن يفتضح أمره. بعد أن



Twitter: @ketab_n

انتهت من كلامها أراد دخيّل أن يسـألها عن التزوير وادّعاء شـخص بملكية شـيء دون حق، ولكن خاف من سـؤال عابر منها أو من أمه أو إحدى أخواته قد يفضح أمره، إضافةً إلى خوفه من تعليق من سعاد يؤجّـج شـك الحضـور بملكيـة بيـت الصالحية، لذا فقـد اكتفى بقوله: «جـزاك اللـه خيـرًا». كانـت خديجة قـد قررت التفرغ للدعوة وتحفيظ القرآن، وذلك بعد تجربة زواج فاشلة.

دخيّل لم يتمكن بعد من نقل البيت باسمه لظروف جده الصحية، لم يكن يرغب بموته، ولكن كان يشعر بالخوف من فضيحة الكذب والتزوير، لذا فقد كان يحرص على تنفيذ كل ما يرغبه صديقه أبو عطا، الـذي كان يـزوره فـي بيتـه أغلـب الأيام، يتناول أحيانًا طعام الغداء أو العشاء عنده. تمنى دخيّل أن يبتعد هذا الرجل عنه، يموت أو يُسجَن أو يُنقَل لمكان بعيد. في فترة سابقة وعندما كان شبه مُعدَم ويعيش تحت ضغوط الإحسـاس بعدم الاسـتقرار والخوف من بيع بيت الصالحية والبقاء دون مأوى ساعده «أبو عطا» على مغامرة تسجيل البيت باسمه وفق وثيقة مزورة، ولكن الآن حالته المادية قد تحسـنت تقريبًا، فهو يملك استراحة بالسلي، إضافةً إلى أن تجارة الطيور وبالذات الحمام جعلتـه يعقـد مجموعـة مـن الصفقـات المربحة التـي حققت له بعض الرصيد في حسابه البنكي، ربما بعد زمن يستطيع أن يمتلك بيتًا بقيمة بيت الصالحية، ولكنه على الرغم من ذلك لا يستطيع مطلقًا أن يخبر الجميع بأن الوثيقة مزورة لأنه بكل تأكيد سيشك الجميع بكل ما لديه من أموال وسيعتقدون أنها جاءت بطرق غير مشروعة، وهنا ليس أمامه إلا الصبـر وتحمـل ذلـك الرجـل الثقيـل «أبـو عطا»، مع توخي الحذر الشديد منه.



Twitter: @ketab_n

فـي أوقـات وجـود «أبـو عطـا» عند دخيل، وتحديـدًا في مركازه بالقرب من حظيرة الحمام، كان دخيّل يطلب من سعاد مع ابنتيها البقاء في الدور الأرضي وعدم الصعود للسطح، كان «أبو عطا» مصابًا بسلس بـول لـذا لا بُـد أن يذهـب إلـى دورة المياه القريبة من مجلس الرجال الكبير في الدور الأرضي بشكل متكرر، الأمر الذي جعل دخيّل يقرر بناء غرفة صغيرة تكون مكانًا للجلوس فترة الشتاء مع دورة مياه، وذلك في الجانب الآخر من سطح بيت الصالحية، وقد ارتاح كثيرًا من قلق حركة الغرباء في الدور الأرضي للبيت، وتلك الغرفة وجد فيها «أبو عطا» مكانًا مناسبًا لكي يقضي جزءًا كبيرًا من يومه فيه، حيث فوجئ دخيل ذات مسـاء برغبة «أبو عطا» بالمبيت في تلك الغرفة، لم يجد دخيل بدًّا من الرضوخ لطلبه وتهيئة مكان في تلك الغرفة لينام فيه.



Twitter: @ketab_n

*Twitter: @ketab_n*

مَن أحقُّ بهذا الصَّمتِ؟

أنتَ تخرجُ من متاهةِ الصَّوتِ

هلْ كنتَ الصَّرخةَ؟

## (42)

علاقة دخيّل بأبي عطا بدأت من سوق الحمام، تعلم منه الكثير وساعده في البيع والشراء، زاره أكثر من مرة في بيت صغير بحي منفوحة، كان يعيش وحيدًا دون زوجة أو أبناء، سمع أنه كان لديه زوجة وابن توفيا إثر حادث سيارة وقع بعد المزاحمية طريق مكة، عندها قرر أن يبقى وحيدًا، كان يعمل حارسًا لمدرسة بنات في حي الشفا، وبعد وفاة زوجته استُغنِيَ عنه، ليسكن في البيت الصغير الملحق بالمدرسة رجل آخر مع زوجته ليعمل الرجل حارسًا للمدرسة وتعمل



Twitter: @ketab_n

الزوجة مستخدمةً، كما كان وضعه مع زوجته قبل الحادث. أصبح «أبو عطا» رجلاً غامضًا عند كثير من الناس، وبالذات في سـوق الحمام، ولكن وجد عند دخيّل منذ لقائه الأول به كثيرًا من البساطة والطيبة، توقع البعض أنه مصاب بالشذوذ، لا سيما وأنه رفض أن يقترن بامرأة بعـد مـوت زوجتـه، ولكـن تأكـد دخيّـل أنـه بعيد عن ذلـك، كان «أبو عطـا» يحـذّر دخيّـل مـن كثير من الأشـخاص طالبًـا منه الابتعاد عنهم وعـدم التعامـل معهـم ومـن أولئـك ذلك الرجل الـذي جلب غلامين لاستراحته، وهي المرة الوحيدة التي لم يسمع دخيّل مشورته لشغفه بما يجلبه ذلك الرجل من حمام نادر، كانت الحادثة وكانت الفضيحة التي أزعجته فترة طويلة.

ورغم لقاء مانع وعليان وراشد فيما بعد لأبي عطاء مرات عديدة، ولكن لم يرتح له الجميع، لون بشـرته الداكن الذي لم يصل لدرجة السـواد ليكـون زنجيًـا، وفضولـه لمعرفة كل شـيء، وأحكامه المُطلَقَة أحيانًا جعلت الجميع يحرصون على عدم مشاركته بمجلسهم، وبالذات عندما يكونون في مجلس الرجال الكبير عند والدهم دخيل الله، وكانوا يحذرون دخيّل منه، بالذات راشد الذي طلب من دخيّل السعي إلى التخلُّـص منـه، وعـده دخيّـل خيـرًا وقد كان في قرارة نفسـه يتمنى أن يتخلَّص من أبي عطا، ولكن مجرد الشروع بذلك سيعلن أمام الجميع أن الوثيقة مزورة، وهذا ما يخافه دائمًا.

ذات يوم طرح على أبي عطا فكرة بناء عدة غرف بجانب الخيمة والحظيرة في اسـتراحة السـلي، وقال له أن ذلك المكان أفضل بكثير من صخب الصالحية. وافق «أبو عطا» مباشرةً عارضًا عليه دفع نصف تكلفة البناء كمساعدة ولتكون مبررًا لإقامته هناك إن طالت، وافق دخيّل



Twitter: @ketab_n

مباشرةً، وشرع في البناء.

شعر دخيّل بشيء من الأمان والصدق من قبل أبي عطا، لذا لم يفكر ذات يوم أن يوقظه من نومه داخل غرفة سطح بيت الصالحية لكي يرافقه للاستراحة، ذهب مقررًا أن يعود قبل أن يستيقظ من النوم.

بعد مغادرة دخيّل البيت صعدت سعاد مع عاملة منزلية إلى السطح لتقوم بتنظيف الغرفة، كانت تتوقع أن دخيّل ذهب إلى الاستراحة مع صاحبه، كعادته دائمًا، لذا فقد بدأت بتنظيف المركاز من أعقاب السجائر وبقايا أكواب الشاي، قبل أن تتجه إلى الغرفة برفقة العاملة التي قامت بتنظيف دورة المياه.

سلس البول دفع أبا عطا للاستيقاظ ليفاجأ بامرأة بيضاء جميلة ممتلئة القوام تحمل معها بعض أدوات التنظيف، مع أخرى من شرق آسيا، عرف سريعًا أن تلك زوجة صاحبه دخيّل مع خادمتها، عاد مباشرةً إلى فراشه متظاهرًا بالنوم دون أن تلاحظ ذلك سعاد التي فوجئت فيما بعد بوجود رجل نائم في غرفة السطح الصغيرة، الأمر الذي جعلها تطلب من العاملة المنزلية سرعة مغادرة السطح بهدوء قبل أن يستيقظ الرجل.

كانت مملوءة بالرعب، ذهبت مباشرةً إلى مجلس الرجال الكبير لتطلب من الممرض الشرق آسيوي مغادرة المكان لتجلس بجانب سرير جدها الذي كان يغط في سبات عميق، عندها شعرت بالاطمئنان، جاء بعد وقت قصير دخيّل ليجد زوجته عند جده، توقع أنه حدث شيء له، قابلته بالبكاء معاتبةً إياه بعدم إخبارها بوجود الرجل في غرفة السطح، هدأ من روعها، وارتاح عندما علم أن الرجل لم يكن مستيقظًا، صعد إلى السطح ليجد الرجل لا يزال نائمًا.


Twitter: @ketab_n

عندما أحس «أبو عطا» بمغادرة المرأتين السطح ذهب مسرعًا لدورة المياه ليقضي حاجته، وعاد إلى فراشه ليحلم بامرأة جميلة وبيضاء ممتلئة القوام، كان يحلم منذ زمن بعيد بنساء أقرب للسّمنة مثل سعاد، أحس بالغيرة من ذلك الرجل الذي يمتلك كل شيء أما هو فشعر أنه على الهامش، احتاج كثيرًا لامرأة، احتاج أن تكون سعاد زوجته.



Twitter: @ketab_n

وجهٌ وضوءٌ
شمسٌ وشعاعٌ
هل سأفقدُ الليلَ برؤيتي لوجهِكَ؟

## (43)

اعتـاد مانـع أن يصلّـي المغـرب بالمسـجد القريـب مـن بيـت الصالحية، ومن ثَم يذهب لزيارة والده دخيل الله، ليلتقي هناك بعليان الذي يتنقل بواسطة الكرسي المتحرك، الزمن شاهد غريب، رجال في سن الشيخوخة ومدينة تتجدد، ثلاثة رجال يلتقون أغلب المساءات، تجمع بينهم ذكريات كثيرة، وصمت مطبق.

يتذكر مانع أحيانًا قصيدة لأحد الشعراء يلقيها عليهما.

يأتـي راشـد غالبًـا، يتحـدث عـن التفجيرات في بغـداد والبصرة



Twitter: @ketab_n

والفلوجة والرمادي.

يزورهم في فترات متباعدة عبد الله بن مانع الذي شغل مركزًا كبيرًا في الشركة التي يرأس مجلس إدارتها ويديرها غالبًا من دبي أحمد شريف زوج ابنة عمهم نوح، يتحدث عبد الله عن بعض الرجال الذين يحرضون الشباب على الذهاب إلى العراق من خلال بعض الفتاوى والمحاضرات وموقفهم عندما يقرر أحد أبنائهم الذهاب إلى العراق.

يحمد عليان ربه كثيرًا لأن ابنه سعد لا يزال رهين سجن الدولة، حتى يعود إلى رشده، ويصل إلى قناعة بأنه لو أطلق سراحه فسيذهب حتمًا إلى العراق ليفجر نفسه، وليموت كثير من الأبرياء، إن لم يرتكب تلك الحماقة داخل البلاد.

أحيانًا يزداد عدد الرجال عندما يأتي بكر مصطحبًا أخاه عيسى إضافة إلى بعض أزواج بنات مانع وعليان، ويأتي أحيانًا بصحبة أحد الأبناء أصدقاء لهم، ويفرح الجميع عندما يأتي دخيّل دون صاحبه أبو عطاء الذي لا يرحب به الجميع مطلقًا، بسبب تدخله في شئون البعض.

الجميع يتذكر سخريته ذات يوم من دخيل الله عندما قال لمانع: «الشيبة ساكت أكيد لو يستبدلكم الله بفتيات جميلات يمكن ترجع له الحيوية ويتكلم».

حينها لم يضحك أحد مطلقًا على سخريته، حيث بادره راشد قائلاً: «اللي يشوف وجهك يصاب بالخرس ويتمنى لو أنعم الله عليه بالعمى، روح شوف وجهك الذي، كل ما نقول عنه، لله في خلقه شئون».

عندها توقع دخيّل أن «أبو عطا» لن يسكت وسيتسبب في خناقة لا يريد مطلقًا أن تقوم وبالذات في حضرة جده ووالده وعمه، مباشرة



Twitter: @ketab_n

طلب من أبي عطا الذهاب معه لمقابلة بائع لا يعرفه لديه بعض الحمام النادر، في الوقت الذي هيأ أكثر من واحد من الرجال الذين كانوا في المجلس نفسه لتلقين «أبو عطا» درسًا لن ينساه طيلة حياته.

مانع لا يدري لماذا لا يتخلص ابنه دخيّل من ذلك الرجل، يعلم أن وضع ابنه تحسن كثيرًا، وهو يثق بأن سعاد تلك المرأة الطيبة ابنة أخته سبيكة وجه خير على ابنه، ربما لو لم يتزوجها لفقده منذ زمن بعيد.

تمنى كثيرًا أن يبتعد عن تجارة الحمام ويبحث عن مشروع جديد بأن يفتتح ورشة أو يتوسع في بيع أدوات الزينة بأن يفتح محلاً لتلميع السيارات أو تظليل الزجاج، ثمة أشياء كثيرة يستطيع أن يعملها ويجعل تربية الحمام مجرد هواية.

هو يتذكر أنه في البدء رحب بهواية ابنه دخيّل وشجعه على تعويض خسارته عندما فقد حمامة نادرة، ولكن الآن تجاوز زمن الحاجة، نبت له ريش وأصبح لديه القدرة على الطيران، فكم هو جميل أن يحلق بعيدًا عن أجواء «أبو عطا» وصحبه!

بعد تلك الحادثة فكر دخيّل بصورة جادة أن يبحث له عن عالم جديد، هو فقط يحتاج إلى زمن بسيط لكي ينتهي البناء في استراحة السلي، لينقل جميع الحمام الذي لديه إلى الحظيرة الموجودة في الاستراحة ويبيع النادر من الحمام، ليتمكّن بقيمته مع ما توفر لديه من مال في البدء بمشروع تجاري جديد. سيحقق بكل تأكيد عدَّة مكاسب من ذلك المشروع قد يكون من أهمها إبعاد أبي عطا من بيت الصالحية تمامًا، وربما التخلص منه، لذا فقد قرر أن يعيد المال الذي بادر «أبو عطا» بتقديمه له عندما فكر بمشروع البناء في الاستراحة، وقد كانت



Twitter: @ketab_n

حجـة دخيّـل لأبـي عطـا بأنـه له الفضل في امتلاكه لبيت الصالحية ثم تحسنت حالته المادية، تقبل ذلك «أبو عطا» بصدر رحب مشيرًا عليه بأن يكون البناء وفق مواصفات جيدة حتى يكون مهيئًا لسـكن عائلة كاملة.


Twitter: @ketab_n

**مِن طريقٍ مغلقٍ**

**إلى أفقٍ مفتوحٍ**

**لم أعرفْ بعدُ كيفَ أصلُ إليكَ!**

## (44)

فـي أعمـاق دخيـل حـب كبيـر للحمـام، حب لطائر مسـالم لديه عوالـم كثيـرة ومبهجـة، الحـب جعلـه يعرف أغلب أسـمائها وألوانها، ويعرف الحمام الأصيل من غير الأصيل، وكيف يقيم محاكر الحمام في الحظيرة ليضمن تزاوج الحمام بصورة جيدة.

معلوماته وصلت لمعرفة أصول الحمام وتسلسلها النسبي، ذات يـوم أهـداه راشـد كتابًـا عن الحمـام الزاجل، كان ذلك الكتاب الهدية الأولى التي يرى أنها تحمل الكثير من معاني الود والوفاء بعد قطيعة



Twitter: @ketab_n

دامت سنوات، كان راشد يعرف أن علاقة دخيّل بالقراءة محدودة، ولكنه رأى أنه من الأجدى له أن يكتسب شيئًا من المعلومات النظرية، لا سيما وأن المعلومة يستطيع أي شخص أن يحصل عليها بسهولة من خلال جهاز الحاسب الآلي عبر الشبكة العنكبوتية، ربما علم ذلك دخيّل لكنه لم يطبقه ولكن مع هذا أحضر جهاز حاسب ليستخدمه أبناؤه، وجود الكتاب بيده إضافة إلى بعض المعلومات التي طلبها دخيّل من أخيه عبد الله جعله يخرج بمعلومات جيدة عن الحمام الزاجل، منها أنه يعتبر سيد الحمام، وقد عرف أن لديه غريزة حب لموطنه والعودة إليه مهما بعدت المسافات الشاسعة التي يقطعها في إيصال الرسائل وخدماته خلال الحروب، ومن أهم المعلومات التي أبهجت دخيّل أن الحمام الزاجل استخدم لأول مرة في الأغراض الحربية قبل الميلاد في حروب الرومان، وعرف أن للعرب تاريخًا طويلاً حافلاً مع الحمام الزاجل فهم من أوائل الأمم التي عرفت أهميته وتربيته واهتمت بأنسابه ووضعت الكتب والدراسات في طبائعه وأمراضه وعلاجه، وقد أدخل الخلفاء العباسيون استخدام الحمام الزاجل في البريد لما يمتاز به من السرعة الفائقة والسهولة في إعادة نقله إلى الأماكن التي ستطلقه مرة أخرى، حرصه هذا على اكتساب المزيد من الثقافة والمعلومات حفزه على الاهتمام بتعليم أبنائه مع تسجيل ابنته التي ورثت عن والدتها بطء التفكير في مدرسة خاصة.

عالم دخيل توسع، فبدأ يبحث عن وضع أفضل، لن يستطيع تغيير بيت الصالحية حاليًا ولكن لا بد أن يأتي اليوم الذي ينتقل فيه مع زوجته وأبنائه إلى أحد الأحياء الراقية، هذا حلمه الذي أخفاه عن الجميع حتى عن الإنسانة التي أحبها كثيرًا، زوجته سعاد التي وهبته



Twitter: @ketab_n

الحب وجعلت حياته سعيدة على الرغم من محدودية تفكيرها، لقد كانت الحمامة النادرة التي يخاف عليها كثيرًا ويغضب من أجلها، ويسعى جاهدًا لإسعادها، زوجته وابنة عمته في وقت واحد، البياض الذي لم يدنسه زمن متغير وأحداث متلاحقة، بياض يتسم بالصدق والنقاء.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**لا أحتملُ مطلقًا**

**أن أراكَ وحيدًا**

**أنا الوحيدُ فقط فاستمتع برؤيتي**

## (45)

الأيام تمضي مسرعةً، مشروع البناء في الاستراحة على وشك الانتهاء.

«أبو عطا» يعرف أنه بمجرد انتقاله إلى الاستراحة لقضاء أوقاته مع دخيّل سيفقد تلك الحمامة البيضاء المكتنزة، التي رآها ذلك الصباح، وذلك إلى الأبد، لكم هو يتوق إلى امتلاكها، ويحسد دخيّل عليها، هي زوجته يعلم ذلك، ولكن في قرارة نفسه يرى أنه لا يستحقها، الرغبة تتأجج في داخله وأيام قليلة ومحدودة وعندها



Twitter: @ketab_n

سيغادر بيت الصالحية إلى استراحة السلي، وعندها لن يكون هناك أي فرصة للوصول إليها.

كم تمنى أن يكون مثل الحمام الجلاب! ذلك النوع الذي يتمتع بخاصية فريدة جدًّا، وهي قدرته على إغراء الإناث للتزاوج معه بشكل عجيب وغريب مستخدمًا حركته وصوته، ليس ذلك فحسب بل إن بعض الأنواع الأصيلة من ذلك الحمام يستطيع فرض سيطرته على الحمامة ومغازلتها حتى وهي راقدة على البيض، كما يمكنه المغازلة والتزاوج وهو يطير في الجو. يذكر «أبو عطا» أن بعض الهواة أطلقوا على الحمام الجلّاب اسم الحرامي أو حرامي الحمام.

ليكن هو الحرامي ولتكن سعاد الحمامة التي يسعى لإغرائها للوقوع في شباكه، هو لم يرها سوى ذلك اليوم الذي تركه دخيل في البيت وذهب لمتابعة البناء في الاستراحة، لذا عليه أن يخطط ليستمتع بها.

كان أول قرار له أن يبقى وحيدًا في غرفة السطح، هو يعرف أن دخيّل حذر جدًّا، فهو لا يسمح لأي غريب بالبقاء وحيدًا في البيت مع وجود زوجته وأبنائه ووالده، وهو يتذكر أن دخيّل أجابه عن سؤال له عن ذلك الممرض الشرق آسيوي وهل يبقى عند وجود زوجته أو قريباته عند جده دخيل الله، بأن الممرض يغادر مجلس الرجال الكبير بمجرد سماعه طرقًا على الباب الذي يفصل بين قسمي الرجال والنساء، لكونه يعرف أن إحدى النساء ستأتي.

كانت خطة «أبو عطا» النوم في غرفة السطح، وفي الصباح التظاهر بالإرهاق والتعب والطلب من دخيّل إبلاغ عائلته بأنه موجود في الغرفة حتى لا يصعد أحد للسطح ليكسب ثقة دخيل بأنه نزيه، وحتى لا يفكر دخيّل بتأجيل الذهاب إلى الاستراحة ذلك اليوم، فقد



Twitter: @ketab_n

طلب «أبو عطا» من أحد أصدقائه ممن يجلبون الحمام النادر ليبيعوه في سوق الحمام بعرض جوز من الحمام النادر على دخيّل وتحديد موعد لمقابلته لرؤية الحمام في الساعة السابعة صباحًا، مع التأكيد بأن ذلك دون علم «أبو عطا».

لم يكن لدى صاحب «أبو عطا» في ذلك اليوم الذي تم تحديده سوى طائر ببغاء يُجيد التحدث، ومالكه يرغب بيعه لظروف سفره.

عندما أخبره صاحب «أبو عطا» بأمر الببغاء وأنه فرصة جيدة للربح أو للتربية في البيت وافق دخيل على لقائه، وأخبره أنه سيأتي مع أبي عطا، لكن ذلك الصاحب طلب منه مباشرةً رغبته بعدم مجيء أبي عطا، عندها وافق دخيل على المجيء وحيدًا.

كان الموعد الساعة السابعة صباحًا، بعد استيقاظهما بساعة تقريبًا، كان قرار دخيّل هو الإفطار مع أبي عطا في الاستراحة ومن ثَم الذهاب لسوق الحمام وحيدًا لرؤية وربما شراء ذلك الطائر.

أبو عطا في ذلك الصباح لم يقدر أن يستيقظ، أخبر دخيّل أنه يشعر ببعض التعب، طلب منه دخيل الذهاب إلى مركز صحي، لكن أبا عطا طلب منحه ساعة للنوم ومن ثَم قد تتحسَّن حالته الصحية، عندها أخبره دخيّل أنه سيذهب إلى مشوار خاص وسيأتي سريعًا، عندها طلب «أبو عطا» من دخيّل أن يغلق عليه باب الغرفة ويخبر عائلته بوجوده حتى لا تصعد إحدى النساء للسطح لتفاجأ بوجوده.

وافق دخيّل مباشرةً وذهب إلى زوجته ليخبرها بوجود صديقه في السطح وطلب منها عدم الصعود مع العاملة المنزلية، غادر دخيّل متوجهًا لبائع الطيوز وقد شعر بالأمان مع بعض الخوف بأن لا يكون صاحبه متوعكًا حقًّا.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**تقولُ بضعَ كلماتٍ**

**قلت بضعَ كلماتٍ**

**هل بقيَ لديكَ ما تقولُه؟**

## (46)

منذ صغرها كانت سعاد تخاف من الرجال الغرباء، عالمها الذكوري انحصر بعدد لا يتجاوز أصابع اليدين من الرجال على رأسهم جدها دخيل الله الذي أحبته كثيرًا، يأتي بعده والدها عليان وزوجها دخيّل، لذا فقد بدأت تعيش الرعب عندما بدأ الرجال الغرباء يأتون إلى زوجها في مركازه بالسطح.

بدأ الرعب يخف عندما اشترى دخيّل الاستراحة وأخبرها أنه لن يأتي أحد من الرجال بعد ذلك لبيت الصالحية، بقي شيء من الخوف



Twitter: @ketab_n

مع بقاء «أبو عطا» يتردد على البيت وأحيانًا ينام في الغرفة التي بناها دخيّل مقابل حظيرة الحمام، كانت تتخيل كل غريب وحشًا بشعًا قد يفترسها بمجرد مقابلتها.

بعد زيادة مرض جدها وإحضار عمها عاشق للممرض الشرق آسيوي، قاطعت مجلس الرجال الكبير لفترة من الزمن حتى أقنعها كل من زوجها ووالدها وخالها مانع أن هذا الرجل جاء لرعاية جدها، وأنه سيكون خارج البيت عند وجودها في مجلس الرجال الكبير.

اطمأنت بعد فترة من الزمن ووجدت بذلك الممرض شيئًا من أخوتها، لذا بدأت تتحدث معه بعد فترة من الزمن في أمور تتعلق بجدها من وراء حجاب، وكان ينفذ لها طلباتها مباشرة.

عندما أخبرها زوجها دخيّل بوجود «أبو عطا» في الغرفة طالبًا منها عدم الصعود للأعلى لتنظيف السطح وحظيرة الحمام، كانت تتمنى لو بقي حتى يستيقظ الرجل ومن ثَم يغادر البيت معه، لكن دخيّل كان في عجلة من أمره لوجود موعد لا يريد أن يتأخر عنه، لذا قررت سعاد الذهاب إلى مجلس الرجال الكبير لتجلس بالقرب من جدها لتشعر بالاطمئنان والسلام.

كان الممرض قد غادر الغرفة بمجرد سماعه الطرق على الباب، عندها جلست سعاد على مقعد بجانب جدها الذي شعرت أنه كان مستيقظًا، بعد أن أعطاه الممرض بواسطة أنبوب صغير عصيرًا يحتوي على مجموعة من المغذيات.

ابتسمت سعاد، وطبعت قبلةً على جبينه، قالت له: «أظنك يا يبَّه مستغرب مجيئي هذا الوقت، المفروض الساعة تسعة أو عشرة، أنا ما قدرت أشتغل اليوم فيه صديق دخيّل اللي اسمه أبو عطا، تعرفه، مريض



Twitter: @ketab_n

ونائـم فـوق، أنـا مـا أقدر أشـتغل حتى يخـرج الرجل مع دخيّل، إيش رأيك يا يبَّه، دخيّل طلب مني إنه يمشـينا بسـوق الفيصلية والمملكة، أروح معه، يقولون الرياض تغيرت كثرت فيها الأسواق، أختي منيرة تقول إنها جلست أكثر من ساعة بالطريق من بيتهم بحي الخليج إلى بيتنا بالصالحية، تقول زحام وعدد الناس زاد....».

أغمض دخيل الله عينيه، وتوقعت سعاد بأنه قد نام، لذا توقفت عـن الـكلام، وبـدأت تتابـع قنـاة فضائيـة عبر جهـاز التلفزيون الصغير فـي ذلـك المجلـس الـذي بقـي مكانـه منذ زمن ليـس بالقصير، كانت القناة تبث تمارين الصباح يقوم بها بعض النساء الرشيقات مع أنغام موسيقى هادئة، تمنت لو كانت تتمتع بمثل رشاقتهن، لكنها فوجئت بوجود رجال ونساء يقومون بتلك التمارين، وكانت أجساد النساء شبه عارية، عندها بدأت تتساءل: هل يفترس أولئك الرجال تلك النساء؟ ولمـاذا لا تخـاف النسـاء منهـم؟ ملامحهـم لا تـدل مطلقًـا أن هنالك علاقة بينهم، لم تصل إلى إجابة لأسـئلتها، فقررت تغيير القناة علَّها تشـاهد جـزءًا مـن إحـدى المسلسـلات التي تحبهـا والتي تذرف دمعًا غزيرًا حزنًا على ما يحدث لبعض أبطالها، كانت إحدى القنوات تبث برنامجًا عن محاكمة صدام حسين، قامت بتغيير القناة مباشرةً لكونها تكره السياسة، كانت قناة أطفال تبث حلقات من المسلسل الكرتوني «توم وجيري» بدأت تتابعه باستمتاع.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

**الصوتُ والضوءُ**
**ووجهُكَ، وصوتُ الحمامِ، كلُّ شيءٍ يبدأُ هنا**
**وينتهي هناكَ**

## (47)

لـم يتوقـع «أبـو عطـا» أن تسـير الأمـور وفـق ما خطـط له بتلك السـهولة، الآن دخيّل خارج المنزل، وكل ما سـيفعله هو الاسـتمتاع بتلك المرأة، ومن ثَم الابتعاد عنه نهائيًّا.

هو الآن بكامل قوته، لا أحد في البيت سوى امرأة دخيّل والعاملة المنزلية، وفي الجانب الآخر ذلك الرجل المريض والممرض.

سيتحدث معها حول الوثيقة، لا بُد أنها تعرف عن أمر تزويرها، وربما تعرف لماذا زوجها ينصاع لرغباته، لا بُد أنه حدثها عن ذلك، لذا



Twitter: @ketab_n

فمن المؤكد أنها ستقدم جسدها بيسر وسهولة ليستمتع بها، ولتتخلص إلى الأبد من عبء ملاحقته لزوجها، قد تتمنَّع وربما تتدخَّل العاملة المنزلية لتمنعه، لذلك قرر أن يحضر سكينًا معه، سيمسك بالزوجة في حالة رفضها ويهددها بالسكين ويطلب من العاملة المنزلية التزام الهدوء وإلا قام بذبحها.

الغليان يضج في داخله وجسد تلك المرأة هدفه، لو وافقت بهدوء سينتهي كل شيء ببساطة وسيكون حذرًا من أن يقذف في داخلها دليل الخيانة، مجرد متعة فقط، ومن ثَم مغادرة المكان دون رجعة.

طمأن نفسه متوقعًا أنها لن توافق على الفضيحة، فضيحة التزوير، وفضيحة أن يشك الناس بالثروة التي حصل عليها زوجها في فترة بسيطة، لا بُد أنها ستتفهم، ولا بُد أن زوجها دخيّل أخبرها أن الوحيد الذي يعرف أمر التزوير هو أبو عطا.

اتجه بهدوء إلى الدور الأرضي، توقع أن يقابل سعاد في المطبخ أو غرفة النوم ولكن لم يجدها، توجه إلى غرفة النساء ووجد العاملة المنزلية تقوم بكيّ بعض الثياب، سألها عن سيدتها.

شعرت العاملة بالخوف واتجهت مباشرةً إلى مجلس الرجال الكبير لتخبر سعاد عن أمر الرجل الذي اقتحم عليها خلوتها.

لم تفهم سعاد كلام العاملة الذي بدا مضطربًا لكنها فوجئت بدخول الرجل الغريب مما دفعها أن تسحب غطاءً أبيض كان يتدثر به جدها لتتغطى به، ومن ثم تهرب إلى داخل البيت، لكن الرجل استوقفها، وقال: أنا «أبو عطا» لا داعي للفضائح، لنذهب إلى الداخل أنا لم آخذ أجرة الوثيقة بعد.

لم تفهم سعاد كلامه مطلقًا، الرعب كاد أن يصيبها بالشلل،



Twitter: @ketab_n

احتمت بسرير جدها، بينما كان «أبو عطا» يقول: «أنا أفهم كل ممارسات النساء، زوجك لن يقول شيئًا، لأنه يخاف من فضيحة التزوير، فبكل هدوء لنذهب إلى غرفة النوم، بقي ساعة على موعد مجيء زوجك، متعة تساوي قيمة هذا البيت».

كادت أن تصبح قطعة من السرير الذي ينام عليه جدها بسبب الخوف، أرادت أن تصرخ، خانها صوتها، بدا الرجل ذئبًا يريد افتراسها، غطت جسدها تمامًا بتلك الملاءة، وتمنَّت لو يستيقظ جدها ربما يصرخ ويطلب ذلك الممرض لينقذها من براثن ذلك الذئب، لكنه لم يستيقظ.

إحدى القنوات التلفزيونية تبث المسلسل الكرتوني، القط يفكر بطريقة يمسك بها الفار، العاملة المنزلية تصرخ، يخرج السكين التي كان يخبئها، ويقول: إذا سمعت صوتًا فالنهاية الموت.

خافت العاملة واتخذت لها ركنًا بعيدًا عن سيدتها، يقترب من المرأة ويحاول أن يبعد ذلك الغطاء، كان في البدء يفكر بممارسة ممتعة في غرفة النوم، ولكن رأى أن الأمر سيتحول إلى اغتصاب، لذا قال في قرارة نفسه «فليكن» المهم المتعة.

اقترب منها وحاول أن ينزع عنها ذلك الغطاء، عندها صعدت فوق سرير جدها ليحول جسده المسجَّى بينها وبين ذلك الرجل، لحق بها وكاد أن يطأ ذلك الجسد الواهي، وعندها خاف من جريمة القتل، تراجع ليعاود التفاوض مع تلك المرأة بتسليم نفسها ليستمتع بمعاشرتها، وإلا سيتخلص من جدها، سمعها تقول: «لا، لا، إلا جدي».

شعر بشيء من النصر، فهدأ وقال: «بدأت تعقلين، أعرف أنك



Twitter: @ketab_n

لا تريدين الفضيحة، إذا لم تسمحي لي بالممارسة ففضيحة الوثيقة المزورة سيعرفها الجميع».

لم تعِ سعاد كلامه ولا تعرف عمَّ يتكلم! لذا قالت: «أنا لا أفهم».

عندها توقع «أبو عطا» أن تلك المرأة حادة الذكاء وتريد أن تبدو أمامه في دور المرأة الساذجة التي لا تعرف شيئًا، لذا فقد قال لها: «أنا ساعدته على امتلاك هذا البيت بتزوير وثيقة، أنت تعرفين ذلك، وأنا الآن أريد الأجرة منك».

كان الرعب قد امتلكها، لكنها شعرت قليلاً بالأمان عندما عاد الرجل إلى مكانه عند مدخل المجلس حتى لا تهرب العاملة المنزلية أو هي، لذا فقد استجمعت شجاعتها لتسأله: «ماذا تريد بالتحديد؟».

ليجيبها بسؤال: «ماذا يريد الرجل من المرأة؟ طبخك قد شبعت منه، أنا أريد جسدك، كما قلت لك ليكون أجرتي عن تزوير الوثيقة».

عندها بدأت بالبكاء، توقع أن تقول شيئًا لكنها وبسبب ما سمعته من كلمات أصابها شيء من التشنُّج، هي لم تقدر أن تتخذ موقفًا لتمنع ذلك الرجل من الوصول إليها، وهو توقع أنها تقوم بمناورات خاصة لتبعده، ولكن الوقت يسير بسرعة ولا بُد أن زوجها سيأتي بعد عدة دقائق لذا فقد اتجه إلى أسفل السرير ليمسك بقدميها ويسحبها، كان ثقل وزنها مساعدًا لها على عدم تحركها بسهولة من على السرير.

نفذ صبر «أبو عطا» وبعنف سحب المرأة ليرتطم جسدها في الأرض ومن ثَم بدأ بإبعاد الملاءة التي لفتها على جسدها، ليقوم بتمزيق ملابسها، كان فأر المسلسل الكرتوني لا يتحرك مطلقًا والقط بدأ يعدُّ نفسه لوليمة كبيرة، يفتح الباب ليدخل حيوان الفقمة البحري الذي تربطه علاقة جيدة بالفأر ليقذف بالقط بعيدًا، وليبعد الفار عن


Twitter: @ketab_n

مصيدة الموت.

كان مشهدًا مرعبًا لم يستوعبه دخيّل مباشرةً، كانت زوجته ممدة على الأرض وأبو عطا بدأ بنـزع ملابسها بينما كانت سكينًا ممدة على الأرض بجانبهما، بينما العاملة المنزلية منكمشة على نفسها في ركن المجلس كقنفذ، وجده يوشك أن يسقط من على سريره.

أخـذ دخيّـل السـكين وغرزهـا في جسـد «أبو عطـا»، الذي اتجه إلى سرير دخيل الله هربًا من الموت، تركه دخيّل واتجه إلى زوجته، سـال الدم على السـرير من جسـد «أبو عطا» ووصل إلى جسـد دخيل الله الضبادي، بينما بقيت سعاد ممددةً في وسط الغرفة لا تعي تمامًا ما حدث.

صوت صراخ العاملة المنزلية جلب بعض رجال الحي إضافةً إلى ذلك الممرض الشرق آسيوي الذي شرع مباشرةً بتنظيف جسد دخيل الله مما علق به من دم، في الوقت الذي أمسك دخيّل بزوجته سعاد وحملها بمسـاعدة العاملة المنزلية إلى داخل البيت، بعدها اتجه إلى السـطح ليفتح جميع أقفاص الحمام لتحلّق في سـماء الرياض بحريَّة بعيـدًا عـن تلـك الحظيـرة في سـطح بيت الصالحيـة، في ذلك الوقت كانت رُوح دخيل الله الضبادي تصعد إلى السماء.

**انتهت**



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

## ملاحظةٌ أخيرةٌ

هذه حكاية عدة أسر في مدينة الرياض، أحداثها شبه واقعية، ولكن الأسماء من خيال الكاتب. فإذا وُجِدَ تشابه، فليس مقصودًا.



Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

## الكاتب في سطور

## عبد العزيز صالح الصقعبي

**روائي ومسرحي سعودي**

**الأعمال القصصية**

- لا ليلك ليلي ولا أنت أنا
- الحكواتي يفقد صوته
- فراغات
- أنت النار وأنا الفراشة
- يوقد الليل أصواتهم ويملأ أسفارهم بالتعب
- أحاديث مسائية
- البهو

**الأعمال الروائية**

- رائحة الفحم
- حالة كذب
- طائف الأنس

الأعمال المسرحية:

- صفعة في المرآة ومسرحيات أخرى

---

**العنوان**

ص . ب 89590 الرياض 11692
E-mail: asals1999@yahoo.com
: asals2005@gmail.com

Twitter: @ketab_n

# اليَومُ الأخيرُ لبَائِع الحَمَام

روايَة

عبد العزيز الصقعبي

• روائي من السعودية

لم تكن حادثة البرجين بمستوى فاجعة فقد «يمّه» عند آل الضبادي، سعاد لم تستوعب الأمر تمامًا، حتى عندما حملت بسيارة الإسعاف إلى المستشفى، وحتى عندما حدد الأبناء موعد الصلاة عليها في مسجد الراجحي ليوارَى جسدها بمقابر النسيم. لم تصدق أن عباءتها أُحضِرَت دونَها بعد أن لف جثمانها بها، أخذت العباءة من دخيّل وقبلتها، وتوجّهت إلى سجادتها لتحتضن شرشف صلاتها، كانت تنادي، «يمّه وينك؟» بكى الجميع معها، احتضنتها أمها سبيكة، وهدّأ من روعها والدها وخالها مانع، بينما ذهب دخيّل لإحضار طبيب ليعطيها حقنة مهدئةً؛ خوفًا من أن تُصاب بالجنون.

أصاب الجميع الحزن، كان التلفزيون مغلقًا، لم يفكر أحد أن يفتحه لمتابعة ردود الفعل العالمية، صاحَبَ الحزن الذي يشعر به نوح قلق على العلاقة مع أمريكا وطريقة تعاملها مع السعوديين حين نشرت صور وأسماء من شارك بغزوة منهاتن كما سمّاها سعد بن عليان، وكان غالبيتهم من السعوديين.










جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com


ISBN 978-2-84409-937-2
9 782844 099372

تصميم الغلاف: سامح خلف